روايات مصرية للجيب

مغامرات ٤×٢

قضية حرب المخابرات

٢٥

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ الرسالة ..

هطلت الأمطار طويلًا فى تلك الليلة ، من ليالى الأسبوع الأوّل من فبراير ، وبدت (القاهرة) فى منتصف الليل ــ حينما انتهى (عصام) من عمله فى الجريدة ، واستقلّ سيارته الصغيرة ، فى طريق العودة إلى منزله ــ بدت أشبه بمدينة مهجورة .. فالشوارع خالية من المارّة تمامًا ، والنوافذ مغلقة مظلمة ، فى كل البنايات المطلّة على الطريق ، والسُّكون يخيّم على المكان ، إلّا من صوت قطرات المطر المتساقطة فى غزارة ..

وخفض (عصام) سرعة سيّارته ، وهو يعبُر الشوارع الخالية ، خشية أن تنزلق إطاراتها ، ويفقد سيطرته عليها ، وسط المياه التى أغرقت الشوارع ، وتمتم فى سخرية ، وهو يضع أحد الأشرطة الموسيقية فى جهاز التسجيل والاستعادة فى سيّارته :

ــ يالها من ليلة !!.. كان ينبغى أن أطالب ببدل طبيعة عمل خاص ، ماداموا يصرُّون على عودتى إلى منزلى ، فى هذا الوقت المتأخر .

انبعث صوت الموسيقى الهادئة داخل السيَّارة ، فسرى الارتياح فى محلاياه ، وراح يدندن نفس اللحن بشفتيه ، ويلحق دندنته بصفير منغوم ، يتناسق مع اللحن الموسيقىّ ، ويبعث فى عروقه الدفء والارتياح ..

وفجأة .. توقَّفت مسَّاحة الزجاج الأمامى للسيَّارة ، وبدأت قطرات المطر تغمر الزجاج ، وتنزلق فوقه ، صانعة خيوطًا من الإنعكاسات الضوئية ، جعلت (عصام) يتوقَّف عن الصفير ، ويعقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى حنق :

ـــ لقد أسأت اختيار موعد التوقُّف ياسيَّارتى العزيزة .

دفع وجهه إلى الأمام ، حتى كاد أنفه يلامس الزجاج الأمامىّ للسيَّارة ، وهو يحاول مواصلة السَّير بها ، معتمدًا على ما تلتقطه عيناه ، وسط خيوط المياه المتراقصة على الزجاج ، إلاَّ أنه لم يلبث أن أيقن من استحالة ذلك ، فأوقف سيَّارته على جانب الطريق ، وهو يغمغم فى سخط :

ـــ يبدو أننى سأفكِّر جديًّا فى طلب بدل طبيعة العمل هذا .

ثمَّ تنهَّد فى ضيق ، وغادر السيَّارة ، ووقف تحت المطر ، يحاول معالجة مسَّاحة الزجاج دون جَدْوى ، حتى هتف فى عصبيَّة :

ـــ لن يمكننى أن أقضى الليل هنا ، أيَّتها السيَّارة اللعينة ... أليس كذلك ؟

وتلفَّت حوله ، وهو يستطرد فى حدَّة :

ـــ ومن الواضح أننى لن أجد أحمق واحدًا ، يخاطر بالخروج فى مثل هذه الظروف .. سواى بالطبع .

لم يكدْ يتمّ عبارته ، حتى توقَّف بصره عند مشهد أدهشه ..

مشهد رجل اندفع فجأة من طريق جانبى ، وراح يَعْدُو نحوه بأقدام متخبِّطة ، وهو يبدو فى عَدْوِه أقرب إلى الترنُّح ، منه إلى القوَّة ..

وكانَ من الواضح أن الرجل يتَّجه إليه ..

إليه بالذات ..

وقبل أن يتخلَّى (عصام) عن دهشته ، أو يفارقه توتُّره ، هتف به الرجل بالإنجليزية ، وهو يلوِّح بيده فى إنهاك واضح :

ـــ سيِّدى .. هل يمكنك أن ..؟ .. أن ..؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف فى جَزَع :

ـــ ماذا .. ماذا هناك ؟.. ماذا بك ؟

ثم لم يلبث أن تنبَّه إلى أنه يسأل الرجل بالعربيَّة ، فعاد يهتف بالإنجليزية :

ـــ ماذا يحدث ؟.. هل ..؟

توقَّف السؤال فى حلقه ، وبلغ اتساع عينيه ذِرْوَته ، حينما انتبه ـــ لأوَّل مرَّة ـــ إلى بقعة الدِّماء الكبيرة ، التى تلوِّث معطف الرجل ، فى موضع الصدر ، والتى يتوسَّطها ثقب محترق الأطراف ، فتراجع وهو يهتف فى ذُعْر :

ـــ ياإلهى !!.. ياإلهى !!

تشبَّث به الرجل ، وبدت ملامحه الأجنبية واضحة ، وهو يحدِّق فى وجهه بعينيه الزَّرقاوَيْن ، هاتفًا فى ألم وتوتُّر :

ـــ إنهم يلاحقوننى .. ينبغى أن تبتعد قبل أن .. أنَّ ..

كان من الواضح أن آلام الرجل المبرِّحة ، وإصابته المخيفة يمنعانه من التركيز ، ومواصلة الحديث ، وأن ذُعر (عصام) قد بلغ مبلغًا لم ينتبه من قبل ، وهو يهتف فى صوت مُخْتَنِق ، وبالعربية :

ـــ مَنْ هؤلاء ؟.. ماذا يحدث بالله عليك ؟

ازداد الرجل تشبُّثًا به ، وبدا متهالكًا ، شاحبًا ، حتى أنه صار من العسير تمييز لون شعره الأشقر ، من لون بشرته ،

وهو يلتقط من جيب معطفه مظروفًا صغيرًا ، ويناوله لـ (عصام) ، قائلًا فى لهفة :

ـــ خُذ هذا .. احتفظ به جيِّدًا ، ولا تدعهم يحصلون عليه ، أيًّا كان الثمن .

هتف (عصام) بإنجليزية مرتبكة متلعثمة :

ـــ وماذا أفعل به ؟

أجابه الرجل فى انفعال ، وهو يقاوم آلامه فى بسالة :

ـــ حَذار أن يدرك أحدهم أنك تحتفظ به .. اذهب به إلى .. إلى ..

وفجأة .. ودون أن يتردَّد فى المكان أى صوت إضافى ، جحظت عينا الرجل فى ذهول وألم ، واندفع رأسه ؛ ليرتطم بصدر (عصام) ، وتتراخى أطرافه تمامًا ، فهتف (عصام) ، وهو يحاول أن يدفع رأس الرجل عن صدره :

ـــ إلى أين أذهب به ؟.. إلى أيـ....؟

احتبست الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه فى رُعْب هائل ، حينما تحسَّست أصابعه سائلاً لزجًا ، يسيل من مؤخرة رأس الرجل ، ويمتزج بمياه المطر ، التى تبلِّل شعره ..

وقبل أن يرفع (عصام) كفَّه ، ويحدِّق فى السائل ، الذى لوَّث أصابعه ، كان قد أدرك طبيعته ..

كان قد أدرك أنه سائل الحياة ..

الدم ..

وفى صوت مُختَنِق ، مرتبك ، مذعور ، هتف (عصام) :

ـــ يا إلهى !!..

وفجأة .. تحطَّم زجاج سيَّارته فى صوت مسموع ، ورفع هو عينيه إلى مدخل الشارع الجانبى ، الذى برز منه الرجل ، فى رُعْب ، وبلغ هذا الرُّعب أوْجَه ، حينما انطبعت فى عينى (عصام) صورة مُفْزِعة ..

صورة رجلين ضخمى الجثة ، يرتديان معطفين من معاطف المطر ، ويمسك كل منهما مسدَّسًا ضخمًا ..

وكانت فُوهَة المسدَّسيْن مصوَّبة إلى هدف واحد ..

إلى رأس (عصام) ..

* * *

٢ ـــ اهرب .. من أجل حياتك ..

لم يكن الأمر يحتاج الى الكثير من الذكاء ؛ ليدرك (عصام) خطورة الموقف ..

نظرة واحدة إلى كاتِمَى الصوت ، اللذيْن يزيِّنان فوُهتَى المسدَّسيْن ، جعلته يفهم كل شئ ..

أو بمعنى أدقَّ ، يفهم كيف قُتِلَ الأجنبىّ ، الذى كان يستنجد به ..

ولم يكن هناك ما يكفى من الوقت ، للتساؤل عن سبب مقتله ، أو سرّ الرِّسالة التى تركها له ..

كان الوقت يكفى للهرب فقط ..

الهرب من أجل الحياة ..

ولم يتردَّد (عصام) لحظة واحدة ..

كان يعلم أن إدارته لمحرِّك سيارته سيصبح أكثر صعوبة ، من استنباط نظريَّة جديدة فى علوم الذَّرَّة ، وهو يعانى كل ذلك التوتُّر ، وتلك العصبيَّة ، إلى جانب رُعْب هائل عنيف ؛ لذا فقد دفع (عصام) جثَّة الأجنبىّ بعيدًا ، وانطلق يعدُو بكل ما يملك من سُرْعة ..

بلا خُطَّة ..

بلا هدف ..

كل مادار فى ذهنه هو هتاف واحد ..

اهرُب يا(عصام) ..

اهرُب من أجل حياتك ..

وتحوَّلت قدماه إلى آلة للعَدْوِ ، وتحوَّل قلبه إلى مِضَخَّة ؛ لتغذية هذه الآلة فى قوَّة وعنف ..

وإلى جوار أذنه مَرَقَتْ رصاصة صامتة ..

وفوق خصلات شعره غير المنتظمة مَرَقَت أخرى ..

وواصل هو عَدْوَه ..

لم يلتفت خلفه ؛ ليعلم إلى أى مدًى وصل مطارِدُوه ..

ولكنه سمع أصوات أقدامهم خلفه تقترب .. وتقترب .. وتقترب ..

وانحرف (عصام) فجأة فى طريق جانبى ، وارتطمت رصاصة أخرى بحافة المنزل المجاور له ، ونثرت بعض الرَّذاذ والحُطام على وجهه ، فشهق فى ذُعْر ، وانحنى ؛ ليعبُر مدخل أول بنَاية صادفته ، وراح يقفزُ درجات سُلَّمها فى ذُعر وسرعة ، وسمع صوت الأقدام يعبُر مدخل البنَاية ، ويواصل

مطاردته ، فزاد من سرعة عَدْوِه ، بعد أن كان يتصوَّر أنها قد بلغت أقصاها ..

وفجأة .. وجد نفسه فوق سطح البِنَاية ، فاندفع إليه ، ثم لم يلبث أن عاد أدراجه ، وأغلق الباب المؤدِّى إلى السطح فى إحكام ، ثم راح يتطلَّع حوله فى ذُعْر ، باحثًا عن وسيلة للفرار ، ولكنه وجد نفسه وكأنَّه فأر دخل إلى المِصْيَدة بقدميه ..

كانت أسطح البنايات المجاورة بعيدة ، لا يمكنه أن يقفز إليها ، مهما بلغت مرونته أو قوته ، والسطح الذى يقف فوقه خالٍ من أى بروز ، يمكنه أن يختفى خلفه ، ومطاردوه يدفعون بابه فى قوَّة وعُنف وإصرار ، وهو وحده حائر ، ملتاع ..

ثم ارتفع دوىّ مكتوم ، ومرقت ثلاث رصاصات عَبْر الباب الخشبىّ ، حول مزلاجه ، وبات من الواضح أن مطارديه يصرُّون على النَّيل منه ، مهما كان الثمن ، فاندفع نحو حاجز السطح ، باحثًا عن مخرج ، ولم يجد أمامه سوى ماسورة ضخمة ، من مواسير الصَّرْف الصحّىّ ، فصعد فوق حاجز

السطح ، وتشبَّث بها ، وأخذ ينزلق عليها هابطًا ، وهو يشعر برُعب هائل ، مخافة أن تفلت يده ، فيهوى من ارتفاع خمسة طوابق ، فى حين بلغ مسامعه صوت باب السطح وهو يتحطَّم ، وصوت أقدام تعدُو داخله ، لم تلبث أن توقَّفت لحظة ، وكأنما دهش أصحابها لعدم وجوده هناك ، قبل أن تندفع الأقدام نحو النقطة التى هبط منها ..

وانتفض جسد (عصام) فى شدة ، وكادت قبضتاه تفلتان من على الماسورة ، التى يتشبَّث بها ، حينما سمع ــ من فوق رأسه ــ هتافًا بلغة لم يفهم حتى مصدرها ، وإن أدرك على الفور أن الهتاف يعنى رؤية صاحبه له ..

وفى حركة حادَّة متوتِّرة ، رفع (عصام) عينيه إلى أعلى ، وهبط قلبه بين قدميه ، فقد رأى هناك ، على حَافَة الحاجز ، وجهًا صارمًا قاسيًا يتطلَّع إليه ، وفُوَّهة مسدَّس مزوَّد بكاتم للصوت مصوَّبة إلى رأسه تمامًا ..

* * *

كل ما فعله (عصام) هذه المرَّة هو أن صرخ ، ودفع جسده جانبًا ، وسمع صوت الرصاصة ، وهى ترتطم بجدار

كل ما فعله (عصام) هذه المرَّة هو أن صرخ ، ودفع جسده جانبًا ، وسمع صوت الرصاصة ، وهى ترتطم بجدار الماسورة ..

الماسورة ، وتغوص فيها ، وسرت فى جسده قُشَعْرِيرَة ، وهو يتخيَّل جمجمته فى موضع الماسورة المسكينة ، ثم شعر ــ مع اندفاعه جانبًا ــ بظهره يرتطم بحاجز زجاجىّ ، ويهشمه ، ثم وجد نفسه يواصل اندفاعه ، ويداه تتخلَّيان عن الماسورة ، على الرغم منه ، وشعر بآلام مبرِّحة فى ظهره ، وكأنما كانت هناك عشرات الخناجر تمزِّقه ، وهوَى جسده ..

لم يهوِ من ارتفاع خمسة طوابق ، كما كان يتوقَّع ، وإنما من ارتفاع متر ونصف فحسب ..

هوَى داخل حمَّام منزل أنيق ، وارتطم بأرضيته الباردة فى دوىٍّ هائل ، ومضت لحظة ، وهو مستلق على ظهره ، يحدِّق فى نافذة الحمَّام فى ذُهول ، حتى بلغ مسامعه صوت أقدام تركض مقتربة منه ، فنهض فى سرعة ، وتعلَّق بصره بباب الحمَّام ، الذى انفتح فى عنف ، وامتدت منه يد أضاءت مصباحه ، الذى غمر عينى (عصام) بالضوء ، فأغلقهما لحظة ، ثم عاد يفتحهما فى بطء ؛ لتواجهه فوَّهة مسدَّس صغير ، ويصكّ مسامعه صوتٌ صارم يقول :

ــ لا تتحرَّك ، وإلاَّ أطلقت النار .

وفى هذه المرَّة ، استسلم (عصام) ..

* * *

٣ ــ اللِّص ..

كان المطر قد توقَّف تقريبًا ، ما عدا رذاذًا خفيفًا ، حينما توقَّفت سيارة العقيد (خيرى) ، فى الواحدة والنصف صباحًا ، أمام تلك البِنَاية ، إلى جوار سيَّارة شرطة خالية ، إلاَّ من سائقها ، الذى كان يجلس داخلها خاملاً ، والذى هبَّ من فوره ، حينما لمح العقيد (خيرى) ، ورفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، وهو يقول :

ــ سيادة الرائد (سمير) ، ينتظر سيادتك فى الطابق الخامس ياسيِّدى .

أجاب العقيد (خيرى) تحيته العسكرية فى هدوء ، ودون أن ينبس بِبنْتِ شَفَة ، وراح يصعد الطوابق الخمسة فى سرعة ورشاقة ، حتى بلغ شقة مضاءة فى الطابق الخامس ، اجتمع أمامها معظم سكَّان البِنَاية ، الذين تطلَّعُوا إليه فى توتُّر ، وهو يعبُر باب الشقة ، حيث استقبله الرائد (سمير) ، وأدَّى التحية العسكرية ، وهو يقول :

ــ صباح الخير ياسيادة العقيد .. معذرةً ؛ لإيقاظك فى مثل هذا الوقت ، ولكننا ألقينا القبض هنا على لص منازل ،

أصرَّ على طلب حضورك ، مدعيًا ــ معذرة ــ أنه تربطه بسيادتك صلة صداقة .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ولو أنه الشخص الذى أتوقَّعه ، فسيكون ادعاؤه صحيحًا بعض الشىء .

فغر الرائد (سمير) فمه فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ ماذا ؟!.

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ لا تتعجَّل الدهشة أيها الرائد ، فأنا لم أره بعد .

اندفع رجل وقُور ، فى أوائل الخمسينات من عمره ، يهتف فى انفعال :

ــ مستحيل ياسيادة العقيد .. إنه لصٌّ وضيع ، لقد اقتحم حمَّام المنزل فى وقاحة شديدة ، وأصابنى وزوجتى بهلع رهيب .. وَمَنْ يَدْرِى ماذا كان يمكن أن يفعله بنا ، لولم أسرع بضبطه ، وتهديده بمسدَّسى ، حتى أبلغت زوجتى الملتاعة الشُرطة ؟

ربَّت العقيد (خيرى) على كتفه مهدِّئًا ، وهو يقول :

ــ بلا شك .. بلا شك .. أين هو ؟

أشار الرائد (سمير) إلى حجرة جانبيَّة ، وهو يقول :

ــ لقد أثبتُّ الواقعة ، وحجزته تحت حراسة رجلين ، فى حجرة الجلوس ياسيِّدى .

اتجه العقيد (خيرى) نحو حجرة الجلوس فى هدوء ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. دعْنا نلقى نظرة عليه .

وفى بساطة .. دفع باب حجرة الجلوس ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يتطلَّع إلى (عصام) ، قائلاً :

ــ كيف حالك يا(عصام)؟.. لقد كنت أتوقَّع ذلك .

هبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ كيف حالى ؟!.. ياله من سؤال !.. إننى كما ترى ، متَّهم بالسطو على منزل آمن ، وأجلس ــ كاللصوص ــ تحت حراسة شرطيَّين .

نقل الرائد (سمير) عينيه فى دهشة وحيرة ، بين (عصام) والعقيد (خيرى) ، ثم سأل الأخير فى توتُّر :

ــ هل .. هل تعرفه حقًا ياسيِّدى ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء ، يحمل رنَّة آمرة :

ـــ نعم أيها الرائد .. خذ شرطيّيك خارجًا ، واتركني معه وحدنا بعض الوقت .

عاد الرائد (سمير) ينقّل بصره بينهما فى حَيْرَة ، ثم أجاب فى خفوت :

ـــ كما تأمر ياسيادة العقيد .

وأشار إلى الشُرطيّين ، فخفضا فوّهَتَىْ مدفَعَيْهما ، المصوَّبيْن إلى (عصام) وتبعاه إلى الخارج فى استسلام ، وانتظر العقيد (خيرى) حتى أغلقا الباب خلفهما ، ثم شبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وقال لـ (عصام) فى هدوء :

ـــ اجلس ، وأخبرنى أيَّة حماقة جديدة ، أوقعت بك فى مثل هذا المأزق .

جلس (عصام) ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ ليتها كانت حماقة هذه المرَّة .

غمغم العقيد (خيرى) فى هدوء :

ـــ حسنًا .. كلِّى آذان صاغية .

تنهَّد (عصام) فى عمق ، ثم اندفع يَرْوى له ماحدث .. ولكنه ، ودون أن يدرك السبب ، تعمَّد إخفاء أمر الرِّسالة ، التى سلَّمه إيَّاها الأجنبى قبل مصرعه ، واكتفى

بذكر مقتله المفاجئ ، ومطاردة الرجليْن له ، حتى وصل إلى اقتحامه الاضطرارىّ للمنزل ، وإلقاء القبض عليه ، واستمع إليه العقيد (خيرى) فى هدوء ، ودون أن يقاطعه مرَّة واحدة ، ثم لبث صامتًا بعض الوقت ، وقد زَوَى ما بين حاجبيه مفكِّرًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ إنها قصة عجيبة بالفعل يا(عصام) ، ولو أنبأنى بها شخص غيرك ، ما صدَّقت كلمة واحدة منها ، ولكننى أميل إلى تصديقك ، فأنا أدرك جيِّدًا جودة معدنك .

هتف (عصام) فى انفعال :

ـــ هناك أكثر من دليل يؤكِّد صدق روايتى هذه المرَّة .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه موافقًا ، وقال فى هدوء :

ـــ بلاشك .. فباب السطح المحطَّم ، وأثر الرصاصة فى الماسورة ، وزجاج سيارتك المهشَّم ، كل هذه أشياء يُمكن التأكُّد منها فى بساطة .

هتف (عصام) :

ـــ وجثَّة الأجنبى القتيل ؟

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ لا أظن أننا سنجدها حيث تركتها .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ هل تظن أنهم .. ؟!

لم يكمل سؤاله ، ولكن العقيد (خيرى) أجابه فى هدوء :

ــ ماداموا قد حاولوا قتلك بكل هذا الإصرار ، فهذا يَعْنِى أنهم يريدون إخفاء الأمر بالطبع .

ثم عاد يشبِّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ــ ولكن هذا لا ينفى أنك متورِّط بالفعل فى حادث سَطْو .

زفر (عصام) فى توتُّر ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك .

ثم استطرد فى رجاء :

ــ ألا يمكن تسوية الأمر ؟

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه مرَّة أخرى ، وهزَّ رأسه يمنةً ويَسْرةً ، وهو يقول :

ــ قانونًا مستحيل .. فلقد اقتحمت الشقة بالفعل ، وصاحبها يصرّ على اتهامك .

هتف (عصام) فى توتُّر :

ــ ربما لو شرحنا له الأمر ..

قاطعه العقيد (خيرى) ، وهو يبتسم قائلاً :

ــ وهل تظن أن أحدًا غيرى سيصدِّق قصتك ؟

تنهَّد ، وهو يقول فى إحباط :

ــ هناك الأدلَّة ، التى ذكرتها لك .

هَزَّ العقيد (خيرى) ، رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلها يمكنها أن تنقلب ضدك ، فسيقال إن باب السطح كان مغلقًا ، وإنك أنت حطَّمته لتدلف إلى السطح ، وتنزلق على الماسورة ، هابطًا إلى هذه الشقة ، وإن الرصاصة التى أصابت الماسورة قد انطلقت من مسدَّسك أنت ، قبل أن تقتحم الشقة ، وربَّما ذهب وكيل النيابة إلى القول بأن مسدَّسك قد سقط ، حينما كنت تحطِّم الزجاج ، وفُقِد و ....

قاطعه (عصام) فى مرارة :

ــ إذن فلا توجد وسيلة .

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيا ، ثم ضاقت حدقتاه ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ـ ربَّما لو ....

هتف (عصام) ، وقد انتعش الأمل فى صدره :

ـ لو ماذا ؟

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ هناك محاولة أخيرة ، قد تُجدِى ، حينما يعجز القانون .

وفتح باب الحجرة ، وأشار إلى صاحب المنزل الوقور وزوجته ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هل تسمحان بالانضمام إلينا ؟

تردَّد الرجل وزوجته لحظة ، ثم اتجها إلى حجرة الجلوس ، وتعلَّق بصراهما بـ (عصام) فى توتُّر ، على حين أغلق العقيد (خيرى) الباب ، والتفت إليهما قائلاً :

ـ هل تصدِّقاننى ، لو أخبرتكما أن هذا الشاب ليس لصًّا ؟

هتفت الزوجة فى عناد:

ـ كلاَّ .

فى حين غمغم الزوج فى توتُّر ، وهو يرمق (عصام) بنظرة حَذِرة :

ـ كيف ؟.. لقد اقتحم منزلى بعد منتصف الليل و ....

قاطعه العقيد (خيرى) ، وهو يشير إلى (عصام) ، قائلاً :

ـ هل تعرفان هذا الشاب ؟

هزَّ الزوج رأسه نفيًا ، فى حين غمغمت الزوجة فى حِدَّة :

ـ لم تسبق لنا رؤيته .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ ولكن ربَّما قرأتما بعض تحقيقاته ، فهو صحفىّ شهير ، فى عالم التحقيقات البوليسية ، ويُدعَى (عصام) .

حدَّق الزوجان فى وجه (عصام) فى ذهول ، وهتفا فى آن واحد :

ـ (عصام كامل)؟!

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ بشحمه ولحمه .. لقد كان بصدد إعداد تحقيق جديد ، يطارد خلاله مجرمًا بالغ الخطورة ، حينما حدث خطأ غير مقصود و ....

لم يتمّ عبارته ، فقد هتفت الزوجة فى صوت مبتهج ، أثار دهشة (عصام) :

ـ غير معقول !!

ثم اندفعت نحو (عصام) فجأة ، تصافحه فى حرارة أذهلته ، وقد تألّقت على وجهها ابتسامة فرحة ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ أستاذ (عصام) ، إننى أتابع تحقيقاتك فى شغف ، وأحتفظ بها كلّها ، ولقد تمنّيت دوْمًا أن ألتقى بك .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ـ كنت أفضّل لو أننا التقينا فى ظروف مختلفة و....

هتفت فى حماس :

ـ على العكس .

حدّق (عصام) فى وجهها بدهشة ، فى حين أردفت هى فى لهفة :

ـ إنك ستذكر اقتحامك لشقتنا فى تحقيقك القادم .. أليس كذلك ؟

أجابها فى حَيْرة :

ـ بالطبع .. وسأتحمّل تكاليف إصلاح النافذة و....

قاطعته وهى تلوّح بكفّيها فى حماس :

حدّق (عصام) فى وجهها بدهشة ، فى حين أردفت هى فى لهفة :
ـ إنك ستذكر اقتحامك لشقتنا فى تحقيقك القادم ..

ــ هذا لا يهمّ .. إن ذكر اسمينا فى واحد من تحقيقاتك الرائعة يكفى .. إنه سيثير حسد كل رفاق النادى .

والتفتت إلى زوجها ، مستطردة فى سعادة :

ــ أليس كذلك يا (وفيق) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ بلى يا عزيزتى .

أغلقت عينيها ، وهى تضمّ كفَّيها أسفل ذقنها ، وتقول فى نشوة :

ــ وستذكر فى تحقيقك ياأستاذ (عصام) أننا كنَّا نعلم الأمر منذ البداية ، وأننا قد تنازلنا عن اتهامك ؛ لنعاونك على أداء مهمَّتك و ..

التقط (عصام) خيط الحديث ، وهو يقول فى لهفة :

ــ بالتأكيد .. وبإضافة صورة أنيقة لك مع زوجك يا سيِّدتى ، سيكتمل التحقيق ويُبرزُ دوركما البطولىّ فيه .

انتفخت أوداج الزوج ، وهو يردِّد فى حماس :

ــ نعم .. دَوْرُنا البطولىّ .

ثم استدار خارجًا ، وهو يُردِفُ فى نفس الحماس :

ــ سأتنازل عن الاتهام .. هكذا تكون البطولة .

* * *

٤ ــ المفـاجأة ..

زفر (عصام) فى ارتياح ، وهو يستقلّ سيارة العقيد (خيرى) ، إلى جوار هذا الأخير ، الذى أدار محرِّك سيَّارته ، وهو يبتسم قائلاً :

ــ هل رأيت كم تفيد الشهرة فى بعض الأحيان ؟

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ لقد كانت فكرة بالغة الذكاء والحِذْق يا سيادة العقيد .

غمغم العقيد (خيرى) ، وهو ينطلق بسيَّارته :

ــ كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة ، دون أن نخالف القانون .

ثم استطرد فى اهتمام :

ــ والآن أين تركت سيَّارتك ؟

أشار (عصام) أمامه ، وهو يقول فى إرهاق :

ــ انحرف يسارًا فى نهاية ذلك الشارع ، وسِرْ حتى بداية الطريق الرئيسى ، وستجدها عند المنعطف هناك .

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وقال وهو ينحرف بسيارته يسارًا :

ـــ إن آثار تحطّم الباب ، وثقب الرصاصة فى الماسورة واضحة يا(عصام) ، ولكننا لا نعلم بعد لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟

مرة أخرى وجد (عصام) فى أعماقه دافعًا خفيًّا ، يمنعه من ذكر أمر الرّسالة ، التى سلّمه إيّاها الأجنبى ، فغمغم فى هدوء :

ـــ ربّما كشفنا السرَّ بعد فحص جثة الأجنبى ، و....

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدّق أمامه فى ذهول ، وهتف فى جَزَع :

ـــ يا إلهى !!.

سأله العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ـــ ماذا حدث ؟

هتف (عصام) فى ارتياع :

ـــ سيَّارتى !!.. لقد اختفت !

توقّف العقيد (خيرى) حيث أشار (عصام) ، وهبط مع هذا الأخير من سيَّارته ، وتطلع كلاهما حوله فى دهشة ، قبل أن يغمغم العقيد (خيرى) :

ـــ أأنت واثق من أنها كانت هنا ؟

هتف (عصام) فى جَزَع :

ـــ تمام الثقة .

ثم أشار إلى الأرض ، مستطردًا فى توتُّر :

ـــ انظر ستجد بقايا زجاجها الأمامىّ المهشَّم ، وآثار دماء الأجنبىّ القتيل .

تطلّع العقيد (خيرى) إلى حيث أشار ، وقال :

ـــ هذا صحيح .

ثم عاد يتلفّت حوله ، مستطردًا :

ـــ لقد اختفت جثة القتيل ، وسيَّارتك أيضًا .

هتف (عصام) فى سخط :

ـــ من الطبيعىّ أن يحاولوا إخفاء جثة القتيل ، ولكن ما شأنهم بسيَّارتى ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى تفكير :

ـــ ربّما استخدموها لنقل الجثة من هنا .

صاح (عصام) فى غضب :

ـــ هل ينوُون توريطى فى جريمة قتل أيضًا ؟

هزَّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وقال :

ـ يمكنك أن تتلافى ذلك بالإبلاغ عن سرقتها على الفور .

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ـ سأفعل بالتأكيد ، وأرجو أن أستعيد سيارتى الصغيرة ، بزجاجها المحطَّم ، فاستبدال الزجاج أهون كثيرًا من شراء سيَّارة أخرى بالتأكيد .

لبث العقيد (خيرى) صامتًا ، يفكِّر بعض الوقت ، ثم قال فى هدوء .

ـ حسنًا .. ليس لدينا الآن ما نفعله ، سنبلغ عن سرقة سيارتك ، ثم أوصِّلك إلى منزلك .

عاد (عصام) يستقلّ سيارة العقيد (خيرى) إلى جواره ، وقال العقيد (خيرى) فى هدوء ، وهو ينطلق بالسيارة :

ـ من حسن حظك أننا الآن فى الساعات الأولى من يوم الجمعة ، وسيمكنك أن تلتقى بـ(عماد) و(علا)

التفت إليه (عصام) فى دهشة ، فاستطرد هو بنفس الهدوء :

ـ مادام هناك لُغز ما ، فأنا أعلم أنك ستلتقى بهما إن عاجلا أو آجلاً ، ولكن قبل أن تفعل ، أحبّ أن أحصل منك على وعد صريح .

غمغم (عصام) فى خجل :

ـ وعد بماذا ؟

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ على أن يقتصر دورهما على الإدلاء بالرأى والمشورة فقط ، وألاَّ يتورَّطا فى بحث القضية نفسها ، فالله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، إلى أى مدًى يمكن أن تتطوَّر هذه القضية ، ما دام القتيل والقتلة فيها من الأجانب .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال فى خفوت :

ـ أعدك ياسيادة العقيد .. أعدك بأن أتحمَّل وحدى كل عواقب هذه القضية بالذات ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة والنصف صباحًا ، حينما عاد (عصام) إلى منزله ، بعد أن أبلغ عن سرقة سيارته ، وكان يشعر بإرهاق عنيف ، وهو يلقى جسده

المكدود على فراشه الصغير ، إلا أن هذا لم يمنعه من إدارة جهاز التسجيل الصغير ، الذى ثبّته فى إطار الفراش ، لتنبعث منه موسيقى هادئة مريحة ..

وداعب النوم جفنيه فى إصرار ، فأرخاهما وهو يحاول أن ينفض عن عقله كل ذكريات تلك الليلة ، بكل ما حوته من أحداث ، إلا أن نقطة محدودة من تلك الأحداث ، طرقت رأسه فى قوّة ، فعاد يفتح جفنيه عن آخرهما ، ويعتدل جالسًا فى فراشه ، وأسرعت يده تلتقط من معطفه ذلك المظروف ، الذى أعطاه إيّاه الأجنبى ، قبل مصرعه ، وتحسّسه فى اهتمام ، وهو يغمغم :

ــ أيّة رسالة تحتويها ياترى ؟

كان من الواضح أن المظروف يحوى شيئًا رقيقًا وصُلبًا فى الوقت ذاته ، ولقد عجز (عصام) عن مقاومة فضوله ، وهو يفتحه ، ويلتقط من داخله أسطوانه رقيقة ، من أسطوانات الكمبيوتر ، راح يتطلّع إليها فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ أيّة رسالة هذه ؟

خامره فجأة شعور قوىّ ، بأن هذه الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، التى يمسكها بأصابعه ، تحوى من المعلومات

ما يستحق أن يُقتل رجل من أجلها ، فأعادها فى عناية إلى المظروف ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ يبدو أنك قد أقحمت نفسك فى عملية بالغة الخطورة يا (عصام) .

ونهض ؛ ليضع الأسطوانة فى مكان جيِّد ، ثم عاد يستلقى على فراشه ، ويحاول النوم ..

ولكن هيهات ..

لقد بدأت المعركة الحقيقيّة ..

* * *

٥ ــ رحلة بحث ..

فرك (عصام) عينيه فى إرهاق وهو يقول لـ (عماد) و (عُلا) فى حجرتهما :

ــ ولقد قضيت الليلة كلها مسهَّدا ، أبحث عن سرّ هذه الأسطوانة الصغيرة .

تحسَّست (عُلا) الأسطوانة فى حَذَر ، وهى تقول :

ــ إن معلوماتى عن الكمبيوتر لا تتعدَّى كونه آله شديدة التعقيد ، تحتاج إلى لغة خاصَّة للتعامل معها .

قال (عماد) ، وهو يتطلَّع إلى الأسطوانة فى اهتمام :

ــ معرفة فحوى الأسطوانة ليست بالأمر العسير ، بالنسبة لمن يجيدون التعامل مع أجهزة الكمبيوتر يا (عُلا) ، ولكن المهم هى خطورة ما تحويه .

سأله (عصام) ، وهو يميل نحوه :

ــ إنك توافق معى على أنها معلومات بالغة الخطورة .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فى حين سألت (عُلا) (عصام) فى دهشة :

ــ ولكن لماذا أخفيت أمر هذه الأسطوانة عن أبى ؟

تنهَّد ، وهز رأسه ، وهو يقول :

ــ لست أدرى !.. ربَّما خشيت أن يأخذها منّى ، فأجهل لغزها إلى الأبد .

غمغم (عماد) :

ــ ربَّما كان هذا هو الأفضل ياأستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى قلق :

ــ لماذا ؟

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة قلقة ، ثم أجاب (عماد) :

ــ من الواضح أن هذه القضية تفوق قدراتنا هذه المرَّة حقًا ياأستاذ (عصام) .

تبخَّر كل أثر للنوم أو الإرهاق من عينى (عصام) ، مع انفعاله الشديد ، وهو يسألهما :

ــ ماذا تعنيان ؟.. إنكما تبدوان لى قلقَيْن لأوَّل مرَّة ، من البحث عن حل لُغز مَا !

هتفت (عُلا) فى توتُّر :

ــ ألم تفهم الأمر بعد ياأستاذ (عصام)؟.. ألم تفهم معنى

أن يقتل بعض الأجانب أجنبيًا ، على أرض لا تخصّ أحدهما ، من أجل أسطوانة كمبيوتر ؟.. ألَمْ تقرأ فى حياتك واحدة من قصص المخابرات والجاسوسيَّة ؟

امتقع وجهه ، وهو يغمغم فى شحوب :

ــ يا إلهى !!.. هل تعنيان ؟

أجابته (عُلا) فى توتُّر :

ــ بلا شك ياأستاذ (عصام) لقد أوقعت بنفسك فى أتون حرب لا هوادة فيها .

وأكمل (عماد) فى انفعال :

ــ حرب المخابرات .

* * *

جلس (عصام) خلف مكتبه فى الجريدة متوتّرًا ، شاردًا ، وأصابعه تداعب الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، فى مظروفها داخل جيبه ، وأصابع يده الأخرى تنقر على سطح المكتب فى عصبيَّة ، حتى سأله رئيسه فى قلق :

ــ ماذا هناك يا(عصام) ؟

تطلَّع إليه (عصام) فى دهشة ، وكأنما يلحظ وجوده لأوَّل مرَّة ، ثم لم يلبث أن أجاب فى توتُّر :

ــ ما الذى جعلك تتصوَّر أن هناك شيئًا ما ؟

جذب رئيسه مقعدًا ، وجلس إلى جواره ، ومال نحوه يهمس فى هدوء :

ــ لا تحاول أن تنكر يا(عصام) .. إننى أعرفك جيِّدًا ، ويمكننى أن أفهم متى تكون متوتّرًا للغاية .. أخبرنى ماذا هناك

زفر (عصام) من أعماق صدره ، وهو يقول :

ــ إننى أبحث عن حلّ لمشكلة ما .

سأله رئيسه فى تعاطف :

ــ هل يمكننى مساعدتك ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ضيق :

ــ كلاَّ .. لست أظن ذلك ، فـ ....

بتر عبارته فجأة ، وبدا وكأن شيئًا ما قد اجتذب تفكيره فى عُمْق ، ثم التفت إلى رئيسه ، يسأله فى اهتمام :

ــ نعم .. ربَّما .. هل تعرف الرجل الذى يعمل على الكمبيوتر الرئيسى فى الجريدة ؟

رفع رئيسه حاجبيه فى حِيْرة ، وهو يقول :

ـــ (نجدى) .. بالطبع .. إنه مهندس كمبيوتر ممتاز ماذا تريد منه ؟

أخرج (عصام) من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـــ هل يمكنه معرفة فحوى هذه الأسطوانة ؟

غمغم رئيسه ، وهو يتطلَّع إلى الأسطوانة فى تساؤل :

ـــ أعتقد ذلك .

ثم نهض مستطردًا :

ـــ لِمَ لا نذهب ونسأله مباشرة ؟

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم نهض وهو يتمتم فى حزم :

ـــ نعم .. ولِمَ لا ؟

* * *

ابتسم مهندس الكمبيوتر (نجدى) ، وقال وهو يدسّ الأسطوانة فى التجويف الخاص بذلك ، فى قاعدة جهاز الكمبيوتر :

ـــ هذا ممكن بالطبع ياأستاذ (عصام) .

ثم أخذ يضغط أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـــ كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة ما تحويه الأسطوانة من معلومات ، وبعدها سيقوم هو بكل العمل .

تعلَّق بصر (عصام) ورئيسه بشاشة الكمبيوتر ، التى ظهرت فوقها كلمات بالإنجليزية ، تقول :

ـــ مستعدّ .. مطلوب الكود السِّرّىّ .

عقد (نجدى) حاجبيه ، وهو يذهب بأصابعه نحو أزرار الكمبيوتر ، سائلاً (عصام) :

ـــ ما الكود السِّرّىّ ياأستاذ (عصام) ؟

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

ـــ هذا ما أريد منك أن تبحث عنه ياأستاذ (نجدى) .

رفع (نجدى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجهه ، ثم قال فى حِدَّة :

ـــ أبحث عنه ؟!.. أبحث عن كود سرِّىّ لبرنامج كمبيوتر خاصّ ؟!.. هل تمْزح ؟.. إن ما تطلبه أكثر صعوبة من البحث عن إبْرَة فى كُومَةٍ من القش .

ـ كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة ما تحويه الأسطوانة من معلومات ، وبعدها سيقوم هو بكل العمل ..

غمغم (عصام) فى توتُّر :

ـ ألا يمكننا أن نحاول على الأقل ؟

هتف (نجدى) فى غضب :

ـ ماذا نحاول ؟.. وبماذا ؟.. هل تعلم ما الكود السِّرِّى ؟.. قد يكون رقمًا ، أو كلمة ، أو رمزًا ، أو مزيجًا من كل هذا ، .. هل تعلم كم محاولة ينبغى بذلها ، للتوصُّل إلى هذا الكود السِّرِّى ؟.. بلايين المحاولات .. وقد يبلغ الأمر أكثر من ذلك ، بل قد تحتاج إلى عمرك كله ، لتصل إلى مثل هذا الشىء ، الذى تطالبنى بمحاولة التوصُّل إليه .

وانتزع الأسطوانة من الكمبيوتر فى حِدَّة ، وناولها لـ (عصام) مستطردًا :

ـ لقد أخطأت جهة البحث ياأستاذ (عصام) .

عقد رئيس قسم الحوادث حاجبيه فى تساؤل ، وهو يتطلَّع إلى (عصام) ، الذى أعاد الأسطوانة إلى جيبه ، وهو يغمغم فى خجل وارتباك :

ـ ألا توجد جهة يمكننى أن ألجأ إليها وتعاوننى على هذا ؟

هتف (نجدى) فى صرامة :

ـ مطلقًا .

إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يستدرك :

ـــ اللهمَّ إلاَّ ....

تساءل (عصام) فى لهفة :

ـــ إلاَّ ماذا ؟

هزَّ (نجدى) رأسه ، وهو يغمغم :

ـــ كلاَّ .. لا أعتقد أنه يمكنك أن تطلب معاونتهم .

سأله (عصام) ، وهو يتشبَّث به فى لهفة :

ـــ مَنْ هم ياأستاذ (نجدى) ؟.. من هم ؟

نقَّل (نجدى) بصره بين (عصام) ورئيسه فى تردُّد ، ثم أشاح بوجهه ، وهو يغمغم فى ضيق :

ـــ إدارة المخابرات العامَّة .

* * *

جلس (عصام) خلف مكتبه حائرًا ، وقد تضاعف توتُّره أضعافًا ، واقترب منه رئيسه ، وهو يسأله فى تعاطف :

ـــ هل يهمُّك حقًّا أن تعرف فحوى هذه الأسطوانة ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يتنهَّد فى عُمْق ، فعاد رئيسه يسأله فى اهتمام :

ـــ أيتعلَّق فحواها بتحقيق جديد ؟

تطلَّع إليه (عصام) لحظة بلا انفعال ، ثم أجاب :

ـــ أتعشَّم ذلك .

اعتدل رئيسه ، وهو يقول :

ـــ فى هذه الحالة يمكننا تدبير الأمر .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ كيف ؟

لوَّح رئيسه بكفِّه ، وهو يقول :

ـــ هل تعرف زميلنا (صالح موسى) ؟.. إنه يرتبط بإدارة المخابرات العامَّة ارتباطًا وثيقًا ؛ فهو يضع روايات الجاسوسيَّة ، التى يكتبها ، والتى نالت شهرة واسعة ، بعد روايته (بكاء عيون غادرة) ، من ملفَّات المخابرات العامَّة ، وهم يمنحونه ثقة كبيرة ، ويمكننا أن نعطيه الأسطوانة ، وعليه أن يستغلَّ صداقاته بهم فى معرفة فحواها .

ارتجف جسد (عصام) من فرط الانفعال ، وهو يسأله :

ـــ هل تظن أنه من الممكن أن يفعل ؟

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

ـــ بلا شك .

ناوله (عصام) الأسطوانة ، وهو يسأله فى لهفة :

ــ ومتى يمكننى معرفة الجواب ؟

التقط رئيسه الأسطوانة ، وهو ينهض قائلا:

ــ سأطلب منه أن يحاول جعل ذلك فى أقرب فرصة ممكنة .

هتف (عصام) فى انفعال :

ــ نعم ياسيِّدى .. أرجوك .

ابتسم رئيسه ، وهو يقول فى إشفاق :

ــ اطمئن .

وغادر الحجرة فى خطوات سريعة ، ولم يكد يختفى من أمام عينى (عصام) ، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور له ، فالتقط سمَّاعته فى حركة آليَّة ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى شرود :

ــ (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من المتحدِّث ؟

انتفض جسده ، حينما جاءته الإجابة بصوت خشن أجش ، يقول بلغة عربيَّة ، وبلكنة أجنبية واضحة :

ــ أين الأسطوانة ؟

بذل (عصام) جَهْدًا خارقًا ليسترد جأشه ، قبل أن يقول فى صوت خنقه انفعاله :

ــ أيَّة أسطوانة ؟

أتاه الصوت الخشن الأجشّ ، يقول فى صرامة :

ــ لا وقت لمثل هذه المحاورات السخيفة ، أريد الأسطوانة ، أو ....

غمغم (عصام) فى اضطراب :

ــ أو ماذا ؟

نقلت إليه أسلاك الهاتف ضحكة وحشية مقيتة ، مخيفة ، شرسة ، قبل أن يقول الصوت الأجشُّ فى سخرية :

ــ أو أصنع من بقاياك شيئًا أقلَّ حجمًا ، وأكثر رقَّة .

امتقع وجه (عصام) فى شدَّة ، ووضع سمَّاعة الهاتف فى ذُعْر ، وهو يردِّد :

ــ يا إلهى !!.. يا إلهى !

ثم نهض من خلف مكتبه ، وأخذ يجمع أوراقه فى عجلة ، وهتف بأحد زملائه :

ــ سأتغيَّب بضعة أيام ، لضرورة قصوى .

ابتسم زميله ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أهو تحقيق جديد ؟

هتف (عصام) ، وهو يندفع خارجًا :

ــ نعم .. نعم .. هو كذلك .

واندفع خارج القسم ، واتجه فى خطوات سريعة مضطربة إلى المِصْعد ، ثم لم يلبث أن توقَّف بغتة ، ودار على أعقابه ، واتجه نحو السُّلَّم ، وأخذ يهبط فى درجاته قفزًا ، حتى وصل إلى الطابق السفلىِّ ، فتلفَّت حوله فى توتُّر ، وتجاهل باب الجريدة الرئيسىّ ، واتجه فى خطوات أقرب إلى العَدْوِ إلى باب جانبىّ صغير ، ودلف منه إلى الطريق ..

وفجأة .. وقبل أن يبتعد عن الباب ، ارتطمت بالحائط المجاور له رصاصة ، وسقطت أسفل قدميه ..

لقد بدأت الحرب تَسْتَعِرُ ، وتضيِّق حَلقاتُها حوْلَ عُنُقه ..

* * *

٦ ــ فى قبضتهم ..

« ياإلهى !!.. وماذا فعلت ؟ » ..

هكذا هتفت (عُلا) فى جزع ، فغمغم (عصام) ، وهو يمسح جبينه بكفه ، ومازال التوتُّر واضحًا فى قسماته :

ــ لاشىء .. لقد تسمَّرت فى مكانى تمامًا ، وجعلنى الرُّعب أتجمَّد ، كتمثال من الرخام ، ولا شك أن عينىَّ قد جحظتا ، وأنا أبحث عن النقطة التى انطلقت منها الرصاصة .

سأله (عماد) فى قلق :

ــ ثم ماذا ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لاشىء على الإطلاق !!.. لقد توقَّعت حينذاك أن تستقر فى رأسى رصاصة أخرى ، وتملَّكنى رُعب هائل ، ولكنَّ شيئًا لم يحدث .

عقد (عماد) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ من الواضح أنهم كانوا يحاولون إرهابك فحسب ياأستاذ (عصام) .

زفر (عصام) ، وهو يغمغم :

ـ لم تكن بهم حاجة إلى ذلك ، لقد كان الرُّعب يَسْرِى فى كل خليَّة من خلاياى .

قالت (عُلا) :

ـ لقد أرادوا أن يؤكِّدوا لك قدرتهم على اقتناصك ، فى أيَّة لحظة ، وفى أى مكان .. ومن الواضح أنهم محترفون ، فقد كانوا يعلمون أنك لن تخرج من الباب الرئيسىّ ، بعد أن أثارت مكالمتهم خوفك وانفعالك ، وأنك ستحاول الخروج من الباب الجانبىّ الصغير ، فكمنوا لك فى مكان يطلُّ عليه .

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـ ولكن كيف علموا من أنا ، وأين أعمل ؟

أجابه (عماد) :

ـ من سيارتك ياأستاذ (عصام) ؟

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ سيَّارتى ؟!

أجابته (عُلا) :

ـ نعم .. إنهم لم يسرقوا سيارتك ؛ لينقلوا بها جثة الأجنبىّ إلى مكان آخر ، كما كنا نتصوَّر ، وإنما ليراجعوا بياناتها فى إدارة المرور ، ويعلموا منها اسمك وعملك .

غمغم (عصام) فى اضطراب :

ـ ياإلهى !!

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة قلقة ، وغمغمت (عُلا) :

ـ لو أردت رأينا ياأستاذ (عصام) ، فنحن نتفق على أنه من الأفضل أن تترك هذه القضيَّة كلَّها للشرطة .

غمغم (عصام) :

ـ أو للمخابرات العامَّة .

أجابه (عماد) فى صوت خافت :

ـ سيكون هذا أفضل .

رَانَ عليهم الصمت لحظات ، ثم قال (عصام) :

ـ أعتقد أن المخابرات العامَّة هى التى ستتخذ هذا القرار .

سأله (عماد) فى دهشة :

ـ وكيف ؟!

صمت (عصام) لحظة إضافية ، ثم أجاب :

ـ لو أنهم وجدوا فى أسطوانة الكمبيوتر ما يستحقُّ ، فسيتدخَّلون دون أن أطالبهم بذلك .

وعقد حاجبيه ، مستطردًا فى توتُّر :

ــ وهذا سيحسم الأمر

* * *

أيقن (عصام) أنه لم يعان كل هذا القدر من التوتُّر والعصبيَّة والاضطراب ، فى حياته كلها ، حينما كشف أنه يقطع رَدْهَة منزله جيئة وذهابًا ، منذ ساعتين كاملتين ، دون توقُّف ، وتضاعف فى أعماقه شعوره بخطورة موقفه ، فَسَرَتْ فى جسده قُشَعْرِيرَة جديدة ، وهو يتمتم فى حَنَق :

ــ لماذا يختارنى القدر دَوْمًا لمثل هذه المآزق ؟

خُيِّل إليه أن عقله يجيبه قائلا :

ــ ربَّما لأنَّك الشخص المناسب للتغلُّب عليها .

ــ هُراء .. (عماد) و (عُلا) هما دَوْمًا صاحبا الفضل .

ــ ولكنها هذه المرَّة قضيتك وحدك .

ــ وربَّما كانت الأخيرة .

ــ من يدرى ؟.. لعلها الأولى .

ــ الأولى فى ماذا ؟

ــ الأولى فى سلسلة جديدة من التحقيقات ، تستقلّ فيها بنفسك .

ــ ومن قال إننى أرغب فى الاستقلال عن (عماد) و (عُلا) ؟

ــ ليس من الضرورىّ أن تعمل وحدك ، ولكن نجاحك فى هذه القضية سيجعلك أكثر ثقة بنفسك وبقدراتك .

ــ إننى أثق بنفسى كثيرًا .

ــ كذب .. لا تحاول أن تخدع نفسك ، لقد اعترفت منذ لحظات بأن الفضل يعود دَوْمًا إلى (عماد) و (عُلا) ، وهذا يَعْنِى أنك تظن دَوْرَك إلى جوارهما ثانويًا .

ــ ربَّما كانت هذه هى الحقيقة .

ــ وربَّما لا .. لِمَ لا تحاول أن تكشف ذلك بنفسك ؟

ــ وماذا لو فعلت ، ثم دقَّ جرس الباب ، ووجدتُ أمامى رجلا يطلق النار على رأسى ؟

لم يكد يلقى هذا التساؤل ، فى حواره مع عقله ، حتى دقَّ جرس الباب بالفعل ، فانتفض جسده ، وهو يهتف فى جَزَع :

ــ من ؟.. من بالباب ؟

أتاه صوت هادئ من خلف الباب ، يقول :

ــ إنه أنا يا (عصام) .. (صالح) .. (صالح موسى) ؟

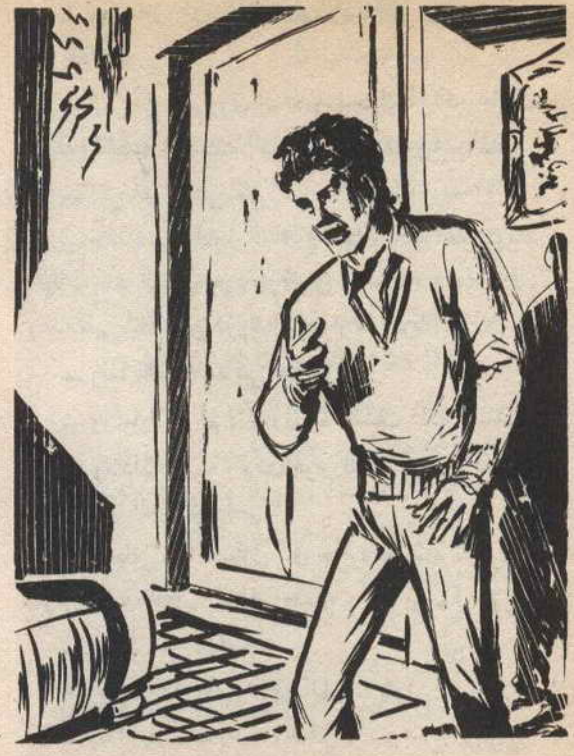

دق جرس الباب بالفعل ، فانتفض جسده ، وهو يهتف فى جزع :

ــ من ؟.. من بالباب ؟

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ (صالح موسى) ؟!

وفتح الباب فى حَذَر ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ ولكنها أوَّل مرَّة تأتى لزيارتى فيها .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هناك دائمًا بداية لكل شىء .. أليس كذلك ؟

ظلَّ (عصام) يحدِّق فى وجهه بمزيج من الدهشة والحَيْرة ، حتى هتف (صالح) فى مرح :

ــ ألن تدعونى للدخول ؟

انتبه (عصام) إلى أنه يسدّ المدخل بجسده ، فأفسح الطريق ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. مرحبًا بك يا(صالح) .

دلف (صالح) إلى المنزل مبتسمًا فى هدوء ، وتطلَّع إليه وهو يقول :

ــ إنك تملك منزلاً أنيقًا يا(عصام) .. أتقيم فيه وحدك ؟

غمغم (عصام) ، وهو يُغلق الباب فى إحكام :

ــ لقد كنت أقيم فيه مع أبى ، قبل أن يتوفَّاه الله ، والآن أقيم فيه وحْدِى .

جلس (صالح) ، وهو يبتسم قائلاً :

ـــ ألن تدعونى لتناول قدح من الشاى ؟

غمغم (عصام) :

ـــ بالطبع .. ولكن ....

تردَّد لحظة ، قبل أن يسأله فى توتُّر :

ـــ ما سرُّ هذه الزيارة المفاجئة ياتُرى ؟

هزَّ (صالح) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ جئت لأعيد إليك أسطوانتك .

وأخرج من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وناولها لـ (عصام) ، الذى التقطها ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ هل رفضوا حلّ كودها السرّىّ ، فى المخابرات العامّة ؟

عاد (صالح) يهزّ كتفيه ، وهو يقول فى لامبالاة :

ـــ بل لقد فعلوا .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـــ فى هذا الوقت القصير .

ابتسم (صالح) ابتسامة ، بدت فى عينى (عصام) ماكرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إنهم يمتلكون أحدث أجهزة الكمبيوتر فى العالم ،

ولديهم رجال يمتلكون خبرات واسعة فى هذا المجال .

هتف (عصام) فى لهفة شديدة :

ـــ وماذا وجدوا عليها ؟

مطَّ (صالح) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ لا شىء .. إن الأمر لم يستغرق منهم أكثر من دقيقة ، فالكود السرّىّ مدوَّن على غلاف الأسطوانة .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة عارمة ، وهو يهتف :

ـــ على غلاف ماذا ؟

أجابه (صالح) ، وهو يشير إلى الأسطوانة :

ـــ على غلافها ، فهى مجرَّد لُعبة من ألعاب الفيديو الإليكترونية .

حدَّق (عصام) فى الأسطوانة فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـــ لُعبة ؟!

قال (صالح) فى ضيق :

ـــ نعم .. لُعبة .. ولقد سخروا منّى .

عاد (عصام) يردِّد فى ذهول :

ـــ لُعبة ؟!

كاد يهتف بأنه من المستحيل أن يُقتل رجل من أجل لُعبة ، مهما بلغت جودتها ، إلاّ أنه احتفظ بهتافه من أعماقه ، وابتلع توتُّره وشكوكه ، وهو يدسّ الأسطوانة فى جيبه ، مُتصنّعًا الهدوء ، ومغمغمًا :

ــ نعم .. يبدو أننى قد حمَّلت الأمور مالا تطيق .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول :

ــ يبدو أن هذا ما حدث بالفعل .

ثم استطرد فى مرح :

ــ والآن هيَّا .. إذا كنت تنوى دعوتى إلى قدح من الشاى ، فعلىَّ به ، فسيكون عليك بعد أن نتناوله أن توصلنى إلى منزلى ، إذ أن سيارتى تمرُّ الآن بمرحلة إصلاح .

غمغم (عصام) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة شاحبة :

ــ يؤسفنى ألا أستطيع ذلك ياصديقى .. فلقد سُرقت سيارتى فجرَ اليوم و ....

قاطعه (صالح) ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ سُرقت ؟!.. أتمزح ، أم تحاول التنصُّل من ثوصيلى ؟.. لقد رأيت سيارتك أمام باب البِناية يا صَاح .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف فى ذهول :

ــ سيَّارتى ؟!

وقبل أن ينبس (صالح) بِبِنْتِ شَفَة ، اندفع (عصام) نحو نافذة البهو ، وأطلَّ منها على مدخل البِنَايَةِ ، ثم لم يلبث أن تراجع مصعوقًا .. فلقد كانت سيارته تستقر بالفعل أمام المدخل ، نظيفة ، لامعة ، وقد تمَّ وضع زجاج أمامىّ جديد لها ..

كانت رسالة فهمها (عصام) على الفور ، وأدرك معناها ..

رسالة تؤكّد أنه لن يفلت منهم ..

تؤكّد أنه مازال فى قبضتهم ..

فى قبضة رجال حرْب المخابرات ..

* * *

٧ ــ انفجـار ..

حاول (عصام) أن يتمالك جأشه ، وأن يبدو قويًا متماسكًا ، أمام (صالح موسى) ، إلاَّ أن امتِقاع وجهه الشديد ، وارتجافة أطرافه الواضحة ، جعلا هذا الأخير يهتف فى جَزَع ، وهو يُهْرَع إليه :

ــ ماذا هناك يا(عصام) ؟.. ماذا حدث ؟

تطلَّع (عصام) إلى وجهه بعينين مذهولتين ، يطلّ منهما الفزع واضحًا ، وراودته رغبة شديدة فى أن يقصَّ عليه الأمر كله ، ويطلب منه شرح الأمر للمخابرات العامَّة ، لتبحث القضية بمعرفتها ، إلاَّ أن هذا الخاطر وحده أصاب كرامته بطعنة شديدة ، جعلته يتمالك جأشه فى سرعة ، ويغمغم فى ارتباك :

ــ لا شىء ياصديقى .. مجرَّد دُوَارٍ مفاجىء فحسب .

تطلَّع إليه (صالح) بعينين فاحصتين ، وكأنما يحاول سبْرَ أغواره ، وهو يسأله فى هدوء :

ــ فقط ؟

أشاح (عصام) بوجهه ، محاولاً تفادى نظرات (صالح) الفاحصة ، وهو يغمغم فى إصرار :

ــ فقط .

ظلَّ (صالح) يتفحَّصُ ملامحه لحظات ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ أهى محاولة ثانية للفرار من إيصالى إلى منزلى ؟

أجبر (عصام) نفسه على الابتسام ، وهو يجيب :

ــ لا ، ياسيِّدى .

ثم نهض مستطردًا فى مَرَح مُصْطَنع :

ــ ولكننا سنتناول الشاى معًا أوَّلاً .

واتجه نحو مَطْبَخِه ، وهو يتمتم فى صوْت لم يبلغ مَسامِعَ (صالح) :

ــ هذا كل ما يمكننى عمله الآن ..

* * *

تحدَّث (عصام) و (صالح) طويلا فى تلك الليلة ، واتَّسم حديثهما بالوُدّ والتفاهم ، دون أن يشير أحدهما مرَّة واحدة – مجرَّد إشارة – إلى موضوع السيَّارة ، التى عادت تتخذ مكانها أمام منزل(عصام) ..

كان حديثهما كله يدور حول رواية (صالح موسى)

الأخيرة ، التى تحمل اسم عميل للمخابرات المصرية ، عاش نصف عمره فى (إسرائيل) ، كمواطن إسرائيلى ، لحساب (مصر) .. وأفاض (صالح) فى الحديث ، وتطرَّق منه إلى الجاسوسية بوجه عام ، وراح يشرح لـ (عصام) العديد من وسائل التجسُّس ونقل الأسرار ، دون أن يُوقن (عصام) مما إذا كان ذلك الحديث متعمَّدًا ، أو أنه كان من الضرورى أن يقودهم إليه الحديث عن رواية (صالح) ..

ولولا أن (عصام) هو الذى بدأ الحديث عن الرواية ، ما انتزع من ذهنه أبدًا تلك الشكوك ، التى راودته مع بداية حديث (صالح) عن الجاسوسية ..

ولم يتناولا قدحًا واحدًا من الشاى فى تلك الليلة ، وإنما تناولا أقداحًا ..

لقد ظلَّ الحديث بينهما متَّصلاً ، مثيرًا ، حتى وهما يتناولان معًا طعام العشاء البسيط ، الذى أعدَّه (عصام) ، الذى على الرغم من بقائه يومين كاملين دون نوم تقريبًا ، كان حيويًّا ، نشيطًا طيلة الوقت ..

وأخيرًا أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، فنهض (صالح) ، وتثاءب ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ أمسية رائعة حقًّا يا (عصام) ، شكرًا لك .. كم يؤسفنى أننا لم نحظ بها من قبل .

أراد (عصام) أن يقول إنها أمسية رائعة بالفعل ؛ لأنها أزالت من نفسه كل ما كان يشعر به من توتُّر ، إلا أنه اكتفى بأن قال :

ــ يمكننا أن نكرِّرها بالطبع ؟

هتف (صالح) فى حماس :

ــ بالتأكيد .

ثم ابتسم ، وهو يغمز بعينه ، مستطردًا :

ــ والآن ، أمازلت تصرُّ على إيصالى إلى منزلى .

ضحك (عصام) ، وهو ينهض قائلاً :

ــ كل الإصرار .

عادا يواصلان حديثهما ، وهما يهبطان معًا فى درجات السُلَّم ، حتى بلغا سيارة (عصام) ، فتطلَّع إليها هذا الأخير ، وقد عاوده توتُّره ، وهو يقول :

ــ هل تصدِّقنى لو قلت لك إن هذه السيارة كانت مسروقة بالفعل ، وإن سارقها قد أعادها إلىَّ هنا ، وبدَّل زجاجها الأمامىَّ أيضًا ؟

ضحك (صالح) ، وهو يقول :

ــ سأصدِّق أى شىء ، مادمت ستوصِّلنى إلى منزلى .

ابتسم (عصام) فى شحوب ، وفتح باب سيَّارته ، ودلف إليها ، ثم مدَّ يده ؛ ليفتح الباب الآخر لـ (صالح) ، إلاَّ أن يده تجمَّدت فى مكانها ، وجحظت عيناه فى رُعب ، حينما وقع بصره على ورقة ملصقة على زجاج السَّيَّارة من الداخل ، تقول كلماتها الإنجليزية البسيطة :

ــ لقد أصلحنا زجاج سيَّارتك ، وأعدناها إليك .. ولكن حذار أن تفتح بابها ، أو تدلف إليها ، فبمجرَّد أن تفعل ، ستبدأ قنبلة موقوتة ، مثبتة أسفلها ، فى العمل .. ومن المؤسف أن هذه القنبلة تنفجر بعد ثلاثين ثانية فقط من تشغيلها .. حاول أن تتحاشى ذلك .

ثلاثون ثانية ؟!..

كم ثانية مرَّت منذ فتح باب سيَّارته ، ودلف إليها ؟..

كم بقى أمامه من وقت ؟..

ودون أن يضيع ثانية واحدة إضافيَّة ، قفز (عصام) خارج السيَّارة ، وصاح فى وجه (صالح) :

ــ ابتعد .. ابتعد بالله عليك .

صاح به (صالح) فى توتُّر :

ــ ماذا حدث ؟

لم يكن هناك وقت يكفى لشرح الأمر ؛ لذا فقد قفز (عصام) فوق مقدِّمة سيارته ، وقفز مرَّة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل البِنَاية ، وهو يصرخ :

ــ ابتعد أوَّلاً .

ودوَّى الانفجار ..

* * *

لذا فقد قفز (عصام) فوق مقدّمة سيارته ، وقفز مرّة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل البناية ..

٨ ــ القــاتل ..

مطّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهزّ رأسه فى حيْرة ، وهو يتطلّع فى أسف إلى بقايا سيّارة (عصام) ، وغمغم فى دهشة لم يحاول إخفاءها :

ــ ولكن لماذا ؟.. لماذا يفجّرون السيّارة ؟ .

كان هناك حشد كبير من سكّان الحىّ يحيطون به ، وعشرات الأصعاف منهم يطلّون من النوافذ ، على الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، لذا فقد خفض (عصام) صوته ، وهو يجيب :

ــ كانوا يحاولون قتلى .. أو إرهابى على الأقل .. ولولا أن نجحنا أنا و (صالح) فى الاحتماء بمدخل البناية ، فى اللحظة الأخيرة ، لتكلّل هدفهم بالنجاح .

عاد العقيد (خيرى) يهزّ رأسه فى حيْرة ، وهو يغمغم :

ــ كل هذا لإخفاء جريمة قتل ؟

لم ينبس (عصام) أو (صالح) ببنْت شفة ، فرفع العقيد (خيرى) عينيه إليهما ، يتأمّلهما فى عُمْق ، قبل أن يقول لـ (عصام) :

ــ لقد عثرنا على الأجنبى .. أو بالأحْرَى على جثته .

سأله (عصام) فى هدوء .

ــ أين ؟..

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه ، وهو يجيب :

ــ ألقاها بعضهم فى النيل ، بعد أن جرَّدها من كل ما يمكنه إثبات شخصية صاحبها .

سأله (عصام) فى توتُّر :

ــ كيف تُوقن من أنه نفس الرجل إذن ؟

لوَّح العقيد (خيرى) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ إنه أجنبىّ ، يحمل نفس الإصابات التى ذكرتها أنت ، رصاصة فى صدره ، وأخرى فى مؤخرة رأسه ، فمن يكون سواه ؟

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ــ إنه هو لاشكَّ .

شاركه العقيد (خيرى) إيماءة الرأس ، وقال :

ــ سنبدأ فى البحث عن هَوِيَّته ، فى الصباح الباكر .

غمغم (عصام) فى شرود :

ــ أتعشَّم أن تنجحوا .

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ سنفعل بإذن الله .

ثم أردف فى حزم :

ــ والآن عُدْ إلى منزلك ، فوجهك يُنبِئُ عن حاجتك الشديدة للرَّاحة .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ سأفعل .

ثم أشار إلى (صالح) ، مستطردًا :

ــ ولكن هل يمكنك إيصال (صالح) إلى منزله ؟

غمغم العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ لا بأس .

ابتسم (عصام) ابتسامة شاحبة ، وهو يلتفت إلى (صالح) ، قائلاً :

ــ آسف ياصديقى .. إننى لَمْ أعد أملك سيَّارة بالفعل .

ربَّت (صالح) على كتفه ، وهو يقول فى تعاطف :

ــ لا عليك يا صديقى .. لا عليك .

ثم صحب العقيد (خيرى) إلى سيارته ، وقبل أن يبلغاها ، التفت هذا الأخير إلى (عصام) ، وتأمّله لحظة فى إشفاق ، ثم غمغم فى صوْت يحمل روح الوُدّ والصداقة العميقين :

ــ كن على حذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ سأحاول :

وانطلقت السيارة مبتعدة ..

* * *

كان أوّل ما فعله (عصام) ، حينما صعد إلى منزله ، هو أن أخرج الأسطوانة من جيبه ، ودسّها داخل أحد كتبه ، وأعاد الكتاب إلى المكتبة ، وسط عشرات الكتب المتشابهة ، ثم رقد على فراشه ، وحاول أن يعثر على مبرّر لما حدث ..

لماذا وضعوا القنبلة فى سيارته ، ثم حذروه منها ؟..

لو أنهم أرادوا قتله ، ما تركوا له هذا التحذير ..

ولو أنهم يريدون إرهابه فحسب ، فلم جعلوا الفترة مابين دخوله إلى السيارة ، وانفجارها ، ضئيلة إلى هذا الحدّ ؟..

لماذا يتعمّدون اللّعب بأعصابه ؟..

كانت تلك التساؤلات تدور فى رأسه الحائر ، وكان يرغب فى العثور على تفسير لها فى شدة ، إلاّ أن جفنيه ، اللذين لم يذوقا طعم النوم منذ ليلتين ، عجزا عن المواصلة ، فتراخيا ، وأغلقا عينيه ، وارتاح عقله المكدود لذلك ، فاسترخى بدَوْره ، وراح (عصام) فى نوم عميق ..

لم يدْر كم استغرق هذا النوم ، ولكنه بالتأكيد لم يطل .. فلقد شعر (عصام) ببرودة شديدة ، جعلته ينكمش على نفسه ، ويستيقظ فى خمول ، وأدهشه أن نافذة حجرة نومه كانت مفتوحة .. فتساءل فى حَيْرة كيف تركها كذلك ، وكيف لم ينتبه إليها قبل نومه ؟.. ولكن دهشته تلاشت فجأة ، وحلّ محلّها رُعْب هائل ، انتفض له جسده كله ، حينما التصقت برأسه فُوّهة مسدّس باردة كالثلج ، وسمع صوتًا جافًا يقول فى صرامة ، وبعربية ركيكة :

ــ أين الأسطوانة ؟

واختلج قلبه فى عُنْف بين ضلوعه ..

* * *

مضت لحظات تجمّد فيها جسد (عصام) ، وصار باردًا كالثلج ، قبل أن يدير عينيه فى بطء ، ويتطلّعُ إلى وجه محدّثه..

كان رجلاً فى منتصف الأربعينات ، واضح القوَّة والعُنفُوان ، تلوح الصَّرامة والقَسْوَة فى كل خلْجة من خلَجَات وجهه العريض ، الذى يكسوه شعر أشقر قصير ، وتبدو الشراسة واضحة فى عينيه الصارمتين الضيِّقتين ، الزرقاوين ، على الرغم من ضوء القمر الخافت ، الذى يتسلَّل إلى الحجرة ، عَبْر نافذتها المفتوحة ..

وفى صعوبة بالغة ، غمغم (عصام) فى صوت متحشرج :

ــ أيَّة أسطوانة ؟

لكزه الرجل بفُوَّهَة مسدَّسه الباردة فى جبهته ، وهو يقول فى غضب :

ــ الأسطوانة التى أعطاك إيَّاها ذلك الوغد (چاكوب) ، قبيل مصرعه .. أسطوانة الكمبيوتر .

غمغم (عصام) فى اضطراب :

ــ إنها ليست هنا .. إنَّها فى المكتب .

زمجر الرجل ، وهو يقول فى شراسة :

ــ كاذب .. لقد فتشنا مكتبك منذ ساعة واحدة ، وهى ليست هناك .

جفَّ لُعاب (عصام) فى شدة ، حتى خُيِّل إليه أنه يبذل جَهْدًا خارقًا ليَزْدَرده ، فأشار بأصابع مرتجفة إلى مكتبته ، وهو يقول فى صوت خافت مختنق :

ــ حسنًا .. إنها هناك ، داخل أحد الكتب .

التفت الرجل إلى المكتبة فى شراهة ، وأزاح فُوَّهة مسدَّسه عن جبهة (عصام) ، وهو يتجه إليها فى حركة حادَّة ..

وهنا صرخت كرامة (عصام) فى استنكار ..

كيف يتركه يحصل على تلك الأسطوانة ، بعد كل مابذله من أجلها ؟..

كيف يستسلم بعد أن فعل كل هذا ، وبعد أن خسر سيَّارته ؟..

وفجأة .. انقضَّ (عصام) على الرجل من الخلف ، وأحاط عنقه بذراعه ، وهو يهتف فى حَنَق :

ــ إنك لن تحصل عليها .. لن تحصل عليها مادُمْتُ حيًّا .

ارتبك الرجل مع المفاجأة ، وفقد توازنه ، وكاد يسقط أرضًا ، إلاَّ أنه استعاد تماسكه فى سرعة ، ودفع مرفقه فى صدر (عصام) ، وهو يهتف :

ــ فليكن .. سأحصل عليها بعد مصرعك .

احتمل (عصام) الضربة ، على الرغم من الآلام المُبَرِّحة ، التى شعر بها ، وكال للرجل لكمة عنيفة فى كليته ، تأوَّه لها الرجل ، وصرخ فى ثَوْرة :

ــ أيها الحقير !!

ثم انحنى إلى الأمام فى سرعة ، ودارت يده خلف ظهره ؛ تمسك بعنق (عصام) ، الذى وجد نفسه يندفع إلى الأمام ، وينقلب فى الهواء ، ثم يسقط على ظهره ، وحينما استعاد سيطرته على نفسه ، رأى الرجل يرتكن إلى حافة النافذة ، ويصوِّب إليه مسدَّسه ، وهو يهتف فى سخط :

ــ أنت الذى أراد ذلك أيها الصحفىّ الحقير .. أنت الذى بحث عن مصرعه فى إصرار .

وبات من الواضح أنها النهاية ..

نهاية (عصام كامل) ..

* * *

٩ ــ اللعبة ..

أيقن (عصام) ــ فى لحظة من اللحظات ــ أن نهايته آتية ولاريب ، إلا أن غريزة البقاء فى أعماقه ، والتى تملأ نفس كل كائن حىّ ، رفضت تماما هذا المصير .. وفى محاولة أخيرة ، التقط (عصام) حذاءه من جوار الفراش ، وقذف به فى وجه الرجل ..

كان الأمر مثيرًا للضحك ، أن يواجه رجل رصاصات مسدَّس بفردة حذاء ، ولكن هذا العالم يحمل الكثير ، مما يمكنه أن يثير دهشتنا وحيرتنا ..

لقد ضحك الرجل فى أعماقه ، حينما قذفه (عصام) بفردة الحذاء ، وسخر من تلك المحاولة السخيفة ، وانحنى بجسده إلى الخلف ليتفاداها ، ولكن تلك الانحناءة جعلت نصفه العلوى يندفع خارج النافذة ، ويفقد توازنه .. فاتسعت عينا الرجل فى رعب ، وحاول أن يتشبَّث بإطار النافذة ، ولكن فردة الحذاء أصابت وجهه فى اللحظة نفسها ، ففقد ماتبقَّى من توازنه ، وهوى جسده من النافذة ، وهو يطلق صرخة مرعبة مفزعة ، قبل أن يرتطم بالأرض فى قوَّة ..

وحاول أن يتشبث بإطار النافذة ، ولكن فردة الحذاء أصابت وجهه فى اللحظة نفسها ، ففقد ما تبقّى من توازنه ..

وظلّ (عصام) فى مكانه لحظات ، مذهولاً ، غير مصدّق ما حدث ، ثم أسرع نحو النافذة ، وتطلّع منها إلى جسد الرجل المسجّى أرضًا ، وغمغم فى ذهول :

ــ ياإلهى .. لقد نجوْت .

وسَرَت فى خلاياه ارتجافة ، وهو يستطرد :

ــ لقد أراد لى الله (سبحانه وتعالى) أن أواصل البحث .

وانعقد حاجباه ، وهو يردف فى حزم :

ــ وسأفعل إنْ شاء الله .

* * *

التقى حاجبا العقيد (خيرى) فى صرامة ، وهو يقول لـ (عصام) فى غضب :

ــ هل لى أن أفهم ماذا يحدث ؟.. إنك تحمل الموْت والدّمار فى كل خطوة من خطواتك ، منذ فجر أمس .

هزّ (عصام) كتفيه ، وهو يقول :

ــ إننى أبحث أيضًا عن جواب هذا السؤال ياسيادة العقيد .

حَدَجه العقيد (خيرى) بنظرة حادّة ، ثم مال نحوه ، قائلا فى صرامة :

ـ اسمع يا (عصام) .. لا أحد يمكنه إدانتك فى حادث مصرع هذا الرجل ، فمن المؤكد أنه قد اقتحم منزلك ، وأراد قتلك لسبب ما ، ولكن هناك نقطة تثير تساؤلى ، ألا وهى : لماذا لم يستغل نومك ، ويقتلك على الفور ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تلقى هذا السؤال على جثته .

بدا الغضب واضحًا فى عينى العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ اسمع يا (عصام) .. إن رجال الشُرطة ليسوا أغبياء كما تتصوَّر ، لقد أيقظك هذا الرجل ؛ لأنه كان يبحث عن شىء ما تملكه أنت ، ويجهل هو مكانه ، شىء يتعلَّق بالأجنبى الذى عثرنا على جثته ، وهذا الشىء بالغ الخطورة ، إلى الحدّ الذى جعل هذا الرجل يغامر باقتحام منزلك ، ويُوقظك فى محاولة لإجبارك على الاعتراف بمكان هذا الشىء .

مطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ ربَّما .

ازداد انعقاد حاجبَى العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى سخط :

ـ إنك تلعب بالنار يا (عصام) ، لقد نجوت مرَّتين أو ثلاثًا من موت محقَّق ، ولكن هذا الحظَّ لن يستمرَّ طويلًا ، وقد تلقى مصرعك ؛ لإصرارك على إخفاء هذا الشىء .

سأله (عصام) فى هدوء :

ـ ماذا تريد بالضبط يا سيادة العقيد ؟

هتف العقيد (خيرى) فى غضب :

ـ أريد الحقيقة يا (عصام) .. أريد هذا الشىء الذى يبحثون عنه .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ـ وماذا لو أن هذا مستحيل ؟

تراجع العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى حزم غاضب :

ـ فى هذه الحالة سأتخلَّى عن الأمر كله ، ولن تجدنى إلى جوارك فى المرة القادمة .

أطرق (عصام) برأسه ، وهو يقول فى أسف :

ـ يؤسفنى ذلك ياسيادة العقيد ، ولكن إجابتى مازالت بالنَّفى .

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ فى هذه الحالة يمكنك اعتبارى منسحبًا من هذه اللُّعبة كلِّها

واندفع مغادرًا المكان فى غضب ، فزفر (عصام) ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ لُعبة ؟!.. ليتها كانت كذلك ياسيادة العقيد .. ليتها كانت كذلك .

* * *

« لُعْبَة ؟!»..

هتف (عماد) فى دهشة ، قبل أن يستطرد فى حَيْرة :

ــ ولكن هذا مستحيل ياأستاذ (عصام) ، لا يمكن أن تسيل كل هذه الدِّماء من أجل لُعْبَة على أسطوانة كمبيوتر .

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ إننى أوافقك على هذا الاستنتاج ، فلا يمكن أن يكون ماتحويه الأسطوانة مجرَّد لُعبة .

قالت (غُلا) فى اهتمام :

ــ ربَّما كان هذا مايبدو ظاهريًا فحسب .

سألها (عصام) فى انفعال :

ــ ماذا تَعْنين ؟

أسرع (عماد) يجيبه ، بعد أن أدرك ماترمى إليه شقيقته :

ــ ربَّما كانت تبدو كلُعبة ، ولكنها تحوى فى طيَّاتها معلومات شفريَّةً ، أو شيئًا من هذا القبيل .

وأكملت (غُلا) فى اهتمام :

ــ أو أن المعلومات تبرز عند تحقيق عدد محدود من الأهداف ، فى اللُّعبة مثلًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى تفكير :

ــ استنتاج معقول يا صغيرىَ .

ثم نهض مستطردًا فى حماس :

ــ ويمكننا أن نتأكد من صحَّته .

سأله (عماد) :

ــ كيف ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

ــ بمعاونة الأستاذ (نجدى) ، خبيرنا فى عالم الكمبيوتر .

* * *

قلَّب المهندس (نجدى) أسطوانة الكمبيوتر بين يديه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ كيف لم تنتبه من قبل إلى أن الكود السِّرِّى مدوَّن على غلاف الأسطوانة ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ كنت أتوقّع أن تنتبه أنت إلى ذلك .

عقد (نجدى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ وكيف لى أن أفعل ؟.. لقد كنت تحتفظ بالغلاف ، حينما أعطيتنى الأسطوانة .

ربَّت (عصام) على كتفه ، وهو يقول :

ـــ لا عليك ياصديقى .. جلَّ من لا يخطئ .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـــ والآن .. هل يمكنك استعادة البرنامج ؟

لوَّح (نجدى) بكفِّه ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. إن هذا من أتفه الأمور .

ثم استدرك فى حزم :

ـــ مادمنا نعرف الكود السِّرىّ .

ثم دفع الأسطوانة فى التجويف الخاصّ ، عند قاعدة الكمبيوتر ، وضغط أزراره ، فظهرت على الشَّاشة نفس العبارة السابقة ، التى تقول :

ـــ مستعد .. مطلوب الكود السِّرىّ .

أضاف (نجدى) الكود السِّرّى هذه المرّة ، فانبعث من الكمبيوتر صوت معدنىّ موسيقىّ ، وظهرت على شاشته كلمة واضحة ملوَّنة ، بحروف كبيرة ، تقول :

ـــ المعركة .

ثم تراصت تعليمات اللُّعبة ، وغمغم (نجدى) فى ازدراء :

ـــ إنَّها مجرَّد لُعبة .

كانت المعلومات المدوَّنة على الشاشة تشير إلى الضغط على الزِّرّ ، الذى يحمل الرقم (واحدًا) ، فى حالة الرغبة فى رؤية تجربة منضبطة للِّعبة ، وعلى الزِّرّ ، الذى يحمل الرقم (اثنين) ، فى حالة الرغبة فى مزاولة اللُّعبة نفسها ، فأسرع (عصام) يضغط الزِّرّ (واحدًا) ، وهو يغمغم :

ـــ لن نجد وقتًا للِّعب .. أليس كذلك ؟

لم ينبس (نجدى) ببنت شفة ، وإنما قلب شفتيه فى امتعاض ، فى حين ظهرت على الشاشة صورة كمبيوتر لمعسكر من معسكرات الجيش ، وطائرة تحوم فوقه ، وتمطر ثكناته بالقنابل ، فى تناسق طريف ، تصاحبه موسيقى تأثيرية معدنيَّة .

وانعقد حاجبا (عصام) ، وهو يتابع اللُّعبة فى اهتمام ، ثم لم تلبث عيناه أن تألّقتا فى سعادة وظفر ، وهو يهتف :

ــ ياإلهى !!.. لقد توصّلت إليها .. لقد توصّلت إلى السرّ .

* * *

١٠ ــ المبـادلة ..

جلس (عصام) خلف مكتبه ، يدوّن على أوراقه ذلك الاستنتاج ، الذى توصل إليه ، فى حماس متزايد ، وهو يشعر بسعادة فائقة ؛ لنجاحه وحده فى حلّ لُغز هذه القضية بالذات ..

لقد استنتج أن صورة المعسكر ، التى تظهر على شاشة الكمبيوتر ، ليست مجرّد صورة عشوائية ، وإنما هى صورة لمعسكر حقيقى ، تهدف دولة ما إلى مهاجمته ، وتحطيمه .. أمّا الطائرة التى تقصف الثكنات ، فهى إشارة إلى الأجزاء التى ينبغى إصابتها أوّلاً ..

فكرة طريفة ومبتكرة ؛ لنقل الأسرار العسكرية وتهريبها ..

منْ ذا الذى ينتابه الشك فى لُعبة من ألعاب الكمبيوتر ؟..

من ذا الذى يتصوّر أنها أحدث وسيلة للجاسوسيّة الحديثة ؟..

وانتابه الزَّهْو ، وهو يخطّ آخر الكلمات فى استنتاجه ، وتملّكته نشوة النصر ، حتى أنه نسى تمامًا خوفه من انتقام جواسيس المخابرات الأجنبية ، ولم يعد يذكر سوى ظفره ..

ولم يكد ينتهى من الكتابة ، حتى سمع صوت (صالح موسى) إلى جواره ، يسأله فى هدوء :

ـــ أهو تحقيق جديد ؟

رفع (عصام) عينيه إليه ، وهتف فى مرح :

ـــ نعم .. وهو أفضل تحقيقاتى على الإطلاق .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول :

ـــ رائع .. ربَّما حصلت على لقب (شيرلوك هولمز) رسميًا بعد نشره .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـــ مَنْ يدرى ؟.. ربمَّا حصلت على لقب (رجل المستحيل) .

وطوَى الورقة ، التى عليها استنتاجه ، وهو يُرْدِف :

ـــ سيكون تحقيقى هذا قنبلة يا صديقى ، وسيفُوق روايتك الأخيرة .

اتسعت ابتسامة (صالح) ، وهو يقول :

ـــ إلى هذا الحدّ ؟.

لوَّح (عصام) بكفِّه ، وهو يبتسم فى زهو ، فى حين ارتفع رنين الهاتف المجاور له فى نفس اللحظة ، فالتقط سمَّاعته ، ووضعها على أُذنه ، وهو يقول فى مَرح :

ـــ (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من المتحدّث ؟

أتاه نفس الصوت الخشن الأجش ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إنه أنا .

تلاشى مرح (عصام) دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ ماذا تريد ؟

أجابه صاحب الصوت فى خشونة :

ـــ نفس الشىء الذى فقد زميلى حياته من أجله .. أريد الأسطوانة .

هتف به (عصام) فى حزم :

ـــ مُحال .. لن تحصل عليها أبدًا .. لقد انتصرت أنا فى هذه المعركة .

حمل الصوت الكثير من السخرية ، حينما قال صاحبه :

ـــ هل تظن ذلك ؟

أجابه (عصام) فى تحدٍّ :

ـــ بل أُوقن منه .

ثم أردف فى شماتة :

ـــ لقد عرفت ما الذى تحويه الأسطوانة .

قال صاحب الصوت فى سخرية :

ــ هكذا ؟!

ثم أردف فى شراسة مفاجئة :

ــ اسمع أيها المتبجّح .. إن ذكاءك ، الذى تتباهى به ، يبدو بالنسبة لنا أشبه بذكاء حشرة وضيعة ، فى مواجهة عالم ذرّة .

غمغم (عصام) فى حَنَق :

ــ أيها الوغد .

لم يَبْدُ على الرجل أنه قد سمع تعليق (عصام) ، وهو يستطرد :

ــ إنك تحوز الأسطوانة .. أليس كذلك ؟ .. حسنًا .. إننى أعرض عليك مبادلتها بشىء ثمين .

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ــ مُحال ، حتى ولو عرضت علىَّ كل أموال الأرض .

أجابه الصوت فى سخرية :

ــ ومن قال إننى أنوى أن أفعل ؟

ثم استعاد خشونته وقسوته ، وهو يردف :

ــ إنى أعرض عليك رُوحَيْن .

ارتجف جسد (عصام) ، وهو يغمغم فى حَيْرَة :

ــ رُوحَان ؟!

أجابه الصوت فى شراسة :

ــ نعم .. إننى أعرض عليك رَوْحَىْ صديقيك الصغيرين .. (عماد) و (عُلا) .

تجمَّدت مشاعر (عصام) لحظة ، على عكس جسده ، الذى انتفض فى قوَّة ، وعجز صوته عن مفارقة حنجرته لحظات ، وحينما نجح ، جاء مرتجفًا ، مختنقًا ، وهو يقول :

ــ أهى مناورة حقيرة أخرى ؟

أطلق صاحب الصَّوت ضحكة ساخرة مقيتة ، قبل أن يقول :

ــ بل حقيقة أيها الذكى .. لقد راقبناك طويلاً ، ورأيناك تلجأ إليهما كلما واجهتك مشكلة ، وعلمنا أنهما صديقاك ، وبعد أن تسبَّبت فى مصرع زميلنا ، قرَّرنا أن نستخدمهما لإجبارك على إعادة الأسطوانة إلينا .

غمغم (عصام) فى صوت مرتجف متخاذل :

ــ أنت كاذب .

عاد الرجل يطلق ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

ـ هكذا ؟!.. لِمَ لا تتأكَّدُ إذن ؟.. إنك لن تجدهما فى منزلهما ، ولا فى مدرستهما .. فقد اختطفناهما من أمامها ، ونحتفظ بهما لدينا ، ولن نعيدهما إليك إلاَّ بعد أن نحصل على الأسطوانة .

تمتم (عصام) فى جَزَع :

ـ حذار أن تمسَّهما بسوء .

قال الرجل فى شراسة :

ـ هذا يتوقَّف عليك أيها الذكىّ .

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، قبل أن يغمغم فى تخاذل :

ـ ماذا تريد ؟

أجابه الرجل فى حزم .

ـ الأسطوانة .

غمغم (عصام) فى مرارة :

ـ أين ؟.. ومتى ؟..

أجابه الرجل :

ـ بعد ساعة واحدة ، فى فيلاَّ سأمليك عنوانها .

أسرع (عصام) يدوِّن العنوان ، الذى أملاه عليه الرجل ، ثم قال فى صوت يشفُّ عن توتُّره :

ـ سأحضر إليك فى الموعد ، ولكنك لن تحصل على الأسطوانة ، قبل أن أرى (عماد) و (عُلا) .

أجابه الرجل فى سخرية :

ـ اطمئن .. سترهما .

ثم استدرك فى صرامة :

ـ ولكن إيَّاك أن تلجأ إلى الخداع ، فسنقتل الصَّبِيَّين ، إذا ماتطرَّقت إلينا ذرَّة واحدة من الشك .

غمغم (عصام) فى ألم :

ـ لن أفعل .

أطلق الرجل ضحكته الساخرة مرَّة أخرى ، ثم أنهى الاتصال ، فوضع (عصام) سمَّاعة هاتفه فى بطء ، وهو يتطلَّع إلى الفراغ فى مرارة ، وانتبه فجأة إلى أن (صالح) مازال جانبه ، حينما سمعه يسأله فى اهتمام :

ـ ماذا هناك يا(عصام) ؟

انتفض جسده فى ذُعر ، وهو يلتفت إليه هاتفًا :

— لا شيء .. لا شيء . إنه مجرَّد موعد ، لابدَّ لى من الوصول إليه بأسرع وسيلة ممكنة .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— موعد ؟!

هتف (عصام) ، وهو يدسّ الأسطوانة فى جيبه ، ويندفع إلى الخارج :

— نعم .. نعم .. موعد عاجل .

لم يحمل وجه (صالح) أى انفعال ، وهو يراقب (عصام) الذى اختفى خارج القسم فى سرعة ، ثم مدَّ أصابعه يداعب الورقة ، التى دوَّن عليها (عصام) استنتاجه ، والتى تركها خلفه ، والتقطها (صالح) ، وقرأ محتوياتها فى سرعة ، وتمتم فى هدوء :

— عظيم .

وهنا فقط ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ..

* * *

١١ — وجهًا لوجه ..

لم يستطع (عصام) منع تلك القُشَعْرِيرة ، التى سَرَت فى جسده ، حينما هبط من سيَّارة الأُجرة التى أقلَّته ، أمام تلك الڤيلاَّ المنعزلة ، فى (المُقطَّم) ، وعلى الرغم من أن الشمس كانت تُشرق فى ذلك اليوم ، وتغمر المكان بضوئها ، إلاَّ أن الڤيلاَّ بدت له مخيفة ، وهى تقف وحدها فى منطقة خالية من المبانى تقريبًا ..

ولقد ظلَّ واقفًا فى مكانه ، حتى ابتعدت سيَّارة الأُجرة ، واختفت فى منحنى بعيد ، ثم قاوم خوفه ، واتجه نحو الڤيلاَّ ، وهو يمسك الأسطوانة داخل جيبه فى قوَّة ..

ولم يكد يعبُر حديقة الڤيلاَّ الصغيرة ، حتى فتح رجل ضخم الجثة بابها ، وعرف (عصام) صوته على الفور ، حينما قال فى خشونة ، وبصوت أجش ، وبلغة عربية ذات لكنة أجنبية :

— أين الأسطوانة ؟

قال (عصام) فى صرامة :

— أين (عماد) و (عُلا) ؟

عقد الرجل حاجبيه فى حدّة ، وهو يقول :

ـــ أرنى الأسطوانة أوّلاً .

أخرج (عصام) الأسطوانة من جيبه فى بطء ، وتألّقت عينا الرجل ، وهو يتطلّع إليها ، ولكن (عصام) قبض عليها بقبضتيه فى قوّة ، وهو يقول :

ـــ يمكننى أن أهشّمها بضغطة واحدة .

زمجر الرجل ، وهو يقول فى صرامة ووحشية :

ـــ ستكون كمن يوقّع شهادة وفاته .

تقدّم (عصام) ، وهو مازال يقبض على الأسطوانة بقبضته ، قائلاً :

ـــ لن أسلّمك إياها ، إلاّ بعد أن أتأكّد من سلامة (عماد) و (غُلا) .

رفع الرجل مسدّسه فى وجه (عصام) ، وبدا من الغضب ، الذى ملأ ملامحه ، أنه سيطلق النار على رأسه ، إلاّ أنه لم يلبث أن سيطر على انفعاله ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. إنهما بالداخل .

تقدّم (عصام) إلى داخل القيلا فى لهفة ، وتعلق بصره

بـ (عماد) و (غُلا) ، اللذين يحرسهما رجل ضئيل الجسد ، واللذين استقبلاه بنظرات ارتياح ، فأسرع إليهما يسألهما فى لهفة :

ـــ هل أنتما بخير ؟

ـــ أوْمَآ برأسيهما إيجابًا ، فهتف الرجل الضخم فى لهجة تشفّ عن نفاد الصّبر :

ـــ هاتِ الأسطوانة .

ازداد (عصام) تشبثًا بالأسطوانة ، وهو يسأله فى توتُّر :

ـــ ما الذى يضمن سلامتنا ، بعد أن أسلّمك الأسطوانة ؟

هتف الضئيل ، الذى يصوّب مسدّسه إلى (عماد) و (غُلا) ، فى عصبية :

ـــ يمكننا أن نقتلك الآن لو أردنا .

هتف (عصام) فى حزم :

ـــ هذا لا يجيب عن سؤالى ، فيمكننى أن أجد الوقت الكافى ؛ لتحويل هذه الأسطوانة إلى فتات ، حتى لو أطلقت النار على رأسى مباشرة .

زمجر الضخم ، وهو يقول بعربيته الركيكة :

ـــ ماذا تريد بالضبط ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـــ أى شىء يضمن سلامتنا .

زفر الضخم فى ضيق ، ثم صوَّب مسدَّسه إلى رأس (عصام) ، وهو يقول فى غضب :

ـــ اسمع ياهذا .. الشىء الوحيد الذى يمكننى أن أضمنه لك ، هو أننى سأطلق النار على رأسك بعد دقيقة واحدة ، مالم تسلِّمنى هذه الأسطوانة سليمة ، وأريد منك أن تعلم أننا لن نفيد شيئًا من قتلك ، أو قتل الصبيَّين .. فكل ماسنفعله بكم هو أن نقيِّدكم هنا فى إحكام ، بعد أن نحصل على الأسطوانة ، فسنعود إلى دولتنا بعد ساعتين فقط ، والطائرة لن تنتظرنا لحظة واحدة إضافية .

تردَّد (عصام) لحظة ، ثم ناوله الأسطوانة ، وهو يقول فى ضيق :

ـــ يبدو أنك لا تترك لى الخيار .

اختطف الرجل الأسطوانة فى لهفة ، وأسرع بها نحو كمبيوتر يحتلّ ركنًا من أركان بهو الڤيلاّ ، ودسَّها فى تجويف خاصّ أسفله ، وضغط أزراره ، فظهرت على شاشته العبارة التقليدية ، التى تقول :

زفر الضخم فى ضيق ، ثم صوَّب مسدَّسه إلى رأس (عصام) ..

ـ مستعد .. مطلوب الكود السرّى .

عاد الرجل يضغط أزرار الكمبيوتر فى لهفة ، ولكن شاشة الكمبيوتر ظلّت تحمل العبارة نفسها ، بالإضافة إلى كلمة أخذت تضىء وتختفى ، وهو تقول :

ـ كود خاطئ .

احتقن وجه الرجل ، وعاد يضغط الأزرار مرّة أخرى فى عصبيّة ، ولكن الكلمة ذاتها استمرّت تتألّق وتختفى فى إصرار ، فالتفت الرجل إلى (عصام) فى غضب هادر ، ورفع مسدّسه فى وجهه ، وهو يهتف :

ـ أيُّها اللّعين .. ستدفع حياتك ثمنًا لهذا الخطأ .

شحب وجه (عصام) ، وهو يغمغم فى اضطراب :

ـ أى خطأ ؟!.. لقد أحضرت لكما الأسطوانة نفسها .

اندفع الرجل نحوه فى ثورة ، وجذبه من قميصه ، وهو يصيح فى غضب :

ـ أيها الكاذب الحقير .. أين الأسطوانة الأصلية ؟

هتف (عصام) فى حيْرة وعصبيّة :

ـ أقسم لك أنها الأسطوانة الأصلية .. ربّما أخطأت أنت الكود السرّى !

صاح الرجل فى غضب عنيف ، وهو يلصق فُوّهة مسدّسه بجبهة (عصام) :

ـ أين الأسطوانة الأصلية ؟!

غمغم (عصام) فى ذُعر :

ـ أُقسم لك إن هذه ....

قاطعه (عماد) فى هدوء :

ـ لا تقسم كذبًا ياأستاذ (عصام) .

التفت إليه (عصام) فى جَزع ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول يا (عماد) ؟

أجابته (عُلا) فى توتر :

ـ إنها ليست الأسطوانة الأصلية ياأستاذ (عصام) .

تخلّى الضخم عن (عصام) ، وأسرع نحو (علا) ، يسألها فى عصبيّة :

ـ أين الأسطوانة الأصليّة إذن ؟

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة مُفْعَمة بالمعانى ، قبل أن يجيب (عماد) فى حزم :

ـ فى إدارة المخابرات العامّة .

* * *

١٢ ــ مفاجأة المفاجآت ..

لم يكد (عماد) ينطق عبارته الأخيرة ، حتى ارتدَّ الضخم مصعُوقًا ، وشحب وجهه إلى حدٍّ مخيف ، فى حين امتقع الضئيل فى شدة ، وتدلَّت فكّه السفلى فى بلاهة ، قبل أن يغمغم فى رُعب :

ــ فى إدارة المخابرات ؟!

هتف (عصام) فى ارتياع :

ــ (عماد) ؟!..(علا) ؟!.. ماذا تقولان ؟.. إنكما لا تدريان معنى عبارتكما .

أجابته (عُلا) فى حزم :

ــ بل ندركه تمامًا يا أستاذ (عصام) .

شحب وجهه ، وهو يقول :

ــ هل .. هل سرقتما الأسطوانة الأصليَّة .... ؟

أجابه (عماد) :

ــ كلاَّ يا أستاذ (عصام) .. أنت بنفسك سلَّمت الأسطوانة الأصلية للمخابرات العامة .

ازداد شحوب وجه (عصام) ، وهو يغمغم :

ــ يا إلهى !!.. ماذا تقول ؟

قالت (عُلا) فى حزم :

ــ هذا صحيح ياأستاذ (عصام) .. لقد أعطيت الأسطوانة الأصلية للأستاذ (صالح موسى) ؛ ليحاول فكّ كودها السرّىّ فى إدارة المخابرات .. ولقد أعادها إليك الأستاذ (صالح) ، أقصد أعاد إليك أسطوانة ، ولكنها لم تكن الأصلية ، بل أسطوانة أخرى ، تحوى لُعبة عادية ، ولكنها تشبه تمامًا الأسطوانة الأصلية .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ ولكن لماذا ؟

أجابه (عماد) :

ــ لأن إدارة المخابرات العامَّة نجحت فى التوصُّل إلى الكود السرّىّ ، للأسطوانة الأصليَّة ، وأدرك خبراؤها على الفور خطورة ما تحويه من أسرار ، فقرَّروا أن يحتفظوا بها ، ويعيدوا إليك أخرى ، دون أن يخبروك بذلك .

عاد (عصام) يغمغم :

ــ لماذا ؟

أجابته (غُلا) :

ـــ حتى تظلَّ مقتنعًا بأنك تحوز الأسطوانة الأصلية .

صاح الضخم فجأة فى قسوة :

ـــ من أخبركما هذا كله ؟

أجابه (عماد) فى هدوء :

ـــ لا أحد .. إنه استنتاج محض .

هتف فى دهشة :

ـــ استنتاج ؟!

ثم صوَّب مسدَّسه إليهما ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ لن تنجح تلك الخدعة السخيفة ، أريدُ أن أعرف أين الأسطوانة الأصلية ؟

أجابته (غُلا) فى حِدَّة :

ـــ ألا تفهم ؟.. قلنا لك إنها فى المخابرات العامَّة .

صاح فى غضب :

ـــ إنها خدعة ولاشك .. فلماذا تعيد المخابرات أسطوانة أخرى إلى هذا الصحفى ، مادامت قد استعادت الأسطوانة الأصلية ؟

أجابه (عماد) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ لأنها الوسيلة الوحيدة للإيقاع بكم أيها الذكى .

امْتقع وجها الرجلين ، وغمغم الضئيل فى رُعْب :

ـــ للإيقاع بنا ؟.. هل تعنيان أن .... ؟

قاطعته (غُلا) فى حزم :

ـــ وهل كنت تظن أننا سنخاطر بكشف كل هذا الأمر أمامك ، لولا ثقتنا فى أن المخابرات العامَّة المصرية قد تبعت الأستاذ (عصام) إلى هنا .

تبادل الرجلان نظرة ارتياع ، ثم رفع فُوَّهة مسدَّسه نحو رأسى (عماد) و (غُلا) ، وصاح فى غضب جنونى :

ـــ إذن فقد فشل كل شىء .. ولكنكم لن تخرجوا من هنا أحياء ، ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى .

وانطلقت رصاصة مسدَّسه ..

* * *

لم يكد (عصام) يلمح ذلك الجاسوس الضخم ، وهو يصوِّب مسدَّسه إلى رأسى (عماد) و (غُلا) ، حتى تلاشى من نفسه كل الخوف والتوتُّر والجَزَع ، وبقيت فى أعماقه عاطفة واحدة ..

خوفه على (عماد) و (غُلا) ..

ودون تفكير .. ودون أدنى ذَرَّة من التردُّد ، انقضَّ (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة ، التى أخطأت هدفها ، ومرقت فوق رأسى (عماد) و (غُلا) ؛ لتستقرَّ فى معدة الضئيل ، الذى اتسعت عيناه فى ألم وذهول ، وسقط مسدَّسه من يده ، وهو يتمتم بعبارة تحمل كل دهشته ، بلغة لم يفهمها أحد ، سوى ذلك الضخم ، الذى لكم (عصام) فى فكِّه ، وهو يصرخ بنفس اللغة ..

وقاوم (عصام) آلام اللكمة فى بسالة ، وتشبَّث بمعصم الضخم ، ليمنعه من إطلاق الرَّصاص مرَّة أخرى ، ودفع كل إصراره وقوته ، ورغبته فى إنقاذ (عماد) و (غُلا) إلى قبضته ، وهَوَى بها على فكِّ الضَّخم ، الذى تأوَّه فى سخط ، وعاد يلكم (عصام) فى معدته مرَّة .. وأخرى ، ثم أعقبهما بلكمة قويَّة على فكِّه ، أرغمته على ترك معصمه ، وألقته أرضًا ، على بعد أمتار منه ..

انقض (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة ..

وفى ثورة هائلة ، صوَّب الضخم مسدَّسه إلى رأس (عصام) ، وقبل أن يندفع (عماد) و (عُلا) نحوه ، فى محاولة يائسة لمنعه ، كان قد أطلق النَّار ..

* * *

١٣ ـ الاقتحـــام ..

جزء من الثانية ، كان هو الخيط الفاصل ، بين حياة (عصام) ومصرعه فى تلك اللحظة ..

جزء من الثانية ، اقتحم فيه رجال المخابرات المصرية الڤيلاً ، وأطلقوا النار على الضخم ، فطاشت رصاصته ، وهو يصرخ ألمًا ويتراجع فى رُعْب ، ثم لم يلبث أن تناسى آلام جرح كتفه ، وهو يتقهقر فى ذُعر ، رافعًا ذراعيه فى استسلام ..

وتهلَّلت أسارير (عماد) و (عُلا) ، فى حين اتسعت عينا (عصام) فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـ ياإلهى !!.. لقد نجوْت .

نهض فى صعوبة ، فاستقبله وجه شابّ وسيم ، تملأ ابتسامته وجهه ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك ياأستاذ (عصام) .. لقد قمت بعمل رائع حقًّا .

سأله (عصام) فى حِدَّة :

ـ هل لنا أن نتعارف أوَّلاً ؟

اتسعت ابتسامة الشاب ، وهو يمدّ يده ؛ لمصافحته ، قائلاً :

ـــ (محسن فوّاز) ، من المخابرات المصريّة .

صافحه (عصام) فى برود ، ثم هتف فى حِدّة :

ـــ هل لى أن أعلم لماذا تعمّدت المخابرات استغلالى على هذا النحو ؟

رفع (محسن) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ استغلالك ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـــ إنك مصرى يا أستاذ (عصام) ، وتدرك خطورة ودقة العمل ، الذى نقوم به ، ولقد فعلنا ماينبغى فعله ، للإيقاع بزعماء شبكة جاسوسية ضخمة ، انتزعت من قبل العديد من أسرارنا .

ولوّح بكفّه ، وهو يردف :

ـــ كلنا نخاطر بأرواحنا فى سبيل هدف واحد .. (مصر) .. وكل مانبذله من أجلها لا يساوى ماتبذله هى من أجلنا .

تضرّج وجه (عصام) بحُمرة الخجل ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. ولكننى كنت أتمنّى أن أعرف طبيعة الدَّوْر ، الذى ألعبه ، مسبقًا .

ابتسم (محسن) وهو يقول :

ـــ معذرة ، ولكننا كنا نخشى ألا تتقن أداء الدَّوْر ، ولقد فضّلنا أن نتركك تتصرَّف على نحو طبيعىّ .

ثم استدرك فى سرعة :

ـــ وكل هذا للمصلحة العامّة بالطبع .

أجابه (عصام) فى حماس :

ـــ بالطبع .

ثم هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـــ ولكن هذا يدهشنى فى الواقع ، فلم أتصوَّر أبدًا أنها حرب بين مخابراتنا ومخابراتهم .. لقد تصوَّرت أنها حرب بين جهازى مخابرات أجنبيَّين .

ابتسم (محسن) ، وهو يقول :

ـــ أبسبب الأجنبىّ ، الذى لقى مصرعه فى البداية ؟

غمغم (عصام) :

ـــ نعم .. هذا صحيح .

هتفت (عُلا) فى حماس :

ـــ لقد كان ذلك الرجل جاسوسًا مزدوجًا ياأستاذ

(عصام) ، يعمل فى صفوف المخابرات الأجنبيّة لحساب (مصر) .

حدَّق (محسن) فى وجهها بدهشة ، وهو يهتف :

ــ ياإلهى !!.. كيف عرفت هذا يا صغيرتى ؟

أسرع (عماد) يقول :

ــ إنه أمر بسيط ياأستاذ (محسن) .. فلقد كان ذلك الجاسوس الضخم يعرف الكود السرّىّ ، اللازم لمعرفة كل المعلومات والأسرار ، التى تحويها الأسطوانة ، فى حين أن هذا أمر عسير ، بالغ الصعوبة ، كما قال خبير الكمبيوتر الأستاذ (نجدى) ، وفى حين أن الضخم أحد من قتلوا الأجنبى ، ويسعون للحصول على الأسطوانة أيضًا ، وهذا لا يتأتّى إلاّ فى حالة واحدة .

أكملت (عُلا) فى سعادة :

ــ أن يكون الأجنبى القتيل عميلًا مُزْدَوجًا ، وأنه كان يحاول استعادة الأسطوانة من الجواسيس ، وليس تسليمها إلى جهة أجنبيّة .

هتف (عصام) ، وقد لاحت له الحقيقة لأوّل مرّة :

ــ يا إلهى !!.. إذن فقد كان يريد أن يطلب منّى تسليم الأسطوانة إلى المخابرات المصرية .

هزَّ (محسن) رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .

ثم تطلَّع إلى (عماد) و (عُلا) ، وهو يسأل (عصام) فى دهشة :

ــ كيف يفكّران بهذا الأسلوب ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ إن لهما عقلية تفُوق عمريهما بعشرات السنين .

عاد (محسن) يهزّ رأسه فى دهشة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ــ لا خوف على (مصر) إذن ، ما دامت تضمّ مثلهما بين أبنائها .

ثم التفت إلى (عصام) يصافحه ، وهو يقول :

ــ شكرًا مرّة أخرى ياأستاذ (عصام) .. إن (مصر) تدين لك بفضل كبير .

صافحه (عصام) فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ إننى لم أفعل سوى ما يمليه علىّ الواجب ياسيّد (محسن) .

ابتسم (محسن) وقال :

ـــ هذا ماتنتظره (مصر) من أبنائها .

واستدار لينصرف ، إلاَّ أن (عصام) استوقفه ، قائلاً :

ـــ لحظة ياأستاذ (محسن) .. هل يمكننى نشر هذا التحقيق ؟

اتسعت ابتسامة (محسن) ، وهو يقول :

ـــ بالطبع ياأستاذ (عصام) .. ولكننا نراجعه أوَّلاً فى إدارة المخابرات .

ثم غمز بعينه ، وهو يستطرد فى مرح :

ـــ يكفى أن تفقد سيارتك .. أليس كذلك ؟

* * *

١٤ ـــ الختـــام ..

هتف (صالح موسى) فى إعجاب ، وهو يربِّت على ظهر (عصام) فى حرارة :

ـــ تحقيق رائع يا(عصام) .. إنك ستفوقنى هكذا فى عالم المخابرات ياصديقى .

ابتسم (عصام) وهو يقول :

ـــ مستحيل .. أنت أستاذ فى هذا المجال .

ربَّت (صالح) على كتفه مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ـــ أنت أيضًا تستحق الأستاذيَّة ، بعد تحقيقك العظيم هذا .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول :

ـــ لست أقصد عالم الأدب يا صديقى ، وإنما أقصد براعتك فى تلك اللعبة ، التى كنت أنا ضحيتها .

تنهَّد (صالح) ، وأطرق بوجهه لحظة ، ثم قال فى جدِّيَّة :

ـــ لقد كنت أؤدِّى واجبى مثلك ياصديقى .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ لقد كان حديثك عن الجاسوسية فى منزلى مقصودًا .. أليس كذلك ؟

أومأ (صالح) برأسه إيجابًا فى خجل ، فعاد (عصام) يسأله فى قلق :

ـــ وماذا عن صديقتك ؟

هتف (صالح) :

ـــ إنها حقيقية .. ولقد أمتعتنى تلك الأمسية حقًا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ هل يَعْنى ذلك أنك تنوى تكرارها ؟

هتف (صالح) فى حماس :

ـــ بالطبع .

ثم ابتسم وهو يناول (عصام) سلسلة مفاتيح صغيرة ، مستطردًا :

ـــ أمَّا الآن ، فأنا مكلَّف حمل هذه الهديَّة إليك .

تطلَّع (عصام) إلى المفاتيح فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ أيَّة هديَّة ؟

اتسعت ابتسامة (صالح) ، وهو يقول :

ـــ هديَّة مخابرات (مصر) ، لواحد من أبناء (مصر) .

حدَّق (عصام) فى المفاتيح مرَّة أخرى فى دهشة ، فأمسك (صالح) ذراعه فى رفق ، وقاده إلى النافذة ، وأشار إلى أسفل ، قائلاً :

ـــ ها هى ذى .. هل تَروقك ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف فى سعادة :

ـــ يا إلهى !! .. إنها سيَّارة بالغة الأناقة .

قال (صالح) :

ـــ والحداثة .. إنها من إنتاج هذا العام ، وما زال عداد المسافات فيها يشير إلى الصفر .

غمغم (عصام) مشدوهًا :

ـــ ياإلهى !!

ربَّت (صالح) على كتفه ، وهو يقول فى وُدّ :

ـــ صدِّقنى ياصديقى .. إنك تستحقُّها عن جدارة .

ثم سأله فى اهتمام :

ـــ أىّ اسم تنوى أن تطلق عليها ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ وهل هناك بديل ؟.. إنها سيارتى الثانية .. سيارة (عصام كامل) الثانية .

واتسعت ابتسامته ، وهو يُرْدِف فى مَرَح :

ـ إنها تستحق عن جدارة اسم (ع × ٢) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

صدر من هذه السلسلة :

مغامرات (ع × ٢)

١ ـ قضية الصراف
٢ ـ قضية قتيل الفندق
٣ ـ قضية بائع الذهب
٤ ـ قضية حادث المقطم
٥ ـ قضية المهرب
٦ ـ قضية لص السيارات
٧ ـ قضية مزور النقود
٨ ـ قضية الجاسوس السرى
٩ ـ قضية تاجر المخدرات
١٠ ـ قضية العقد المفقود
١١ ـ قضية جامع الطوابع
١٢ ـ قضية لاعب الكرة
١٣ ـ قضية مصرع الحلاق
١٤ ـ قضية الضابط المزيف
١٥ ـ قضية الحريق الغامض
١٦ ـ قضية جريمة المسرح
١٧ ـ قضية قطار الرعب
١٨ ـ قضية السجين الهارب
١٩ ـ قضية رجل الساعة
٢٠ ـ قضية لعبة الموت
٢١ ـ قضية الطفل الثالث
٢٢ ـ قضية شرطى المرور
٢٣ ـ قضية الحوتة الوهمية
٢٤ ـ قضية منتصف الليل
٢٥ ـ قضية حرب المخابرات

مغامرات ع × ٢

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء..

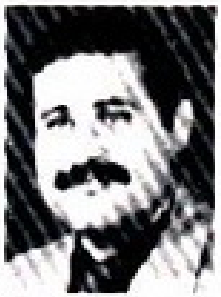

المؤلف

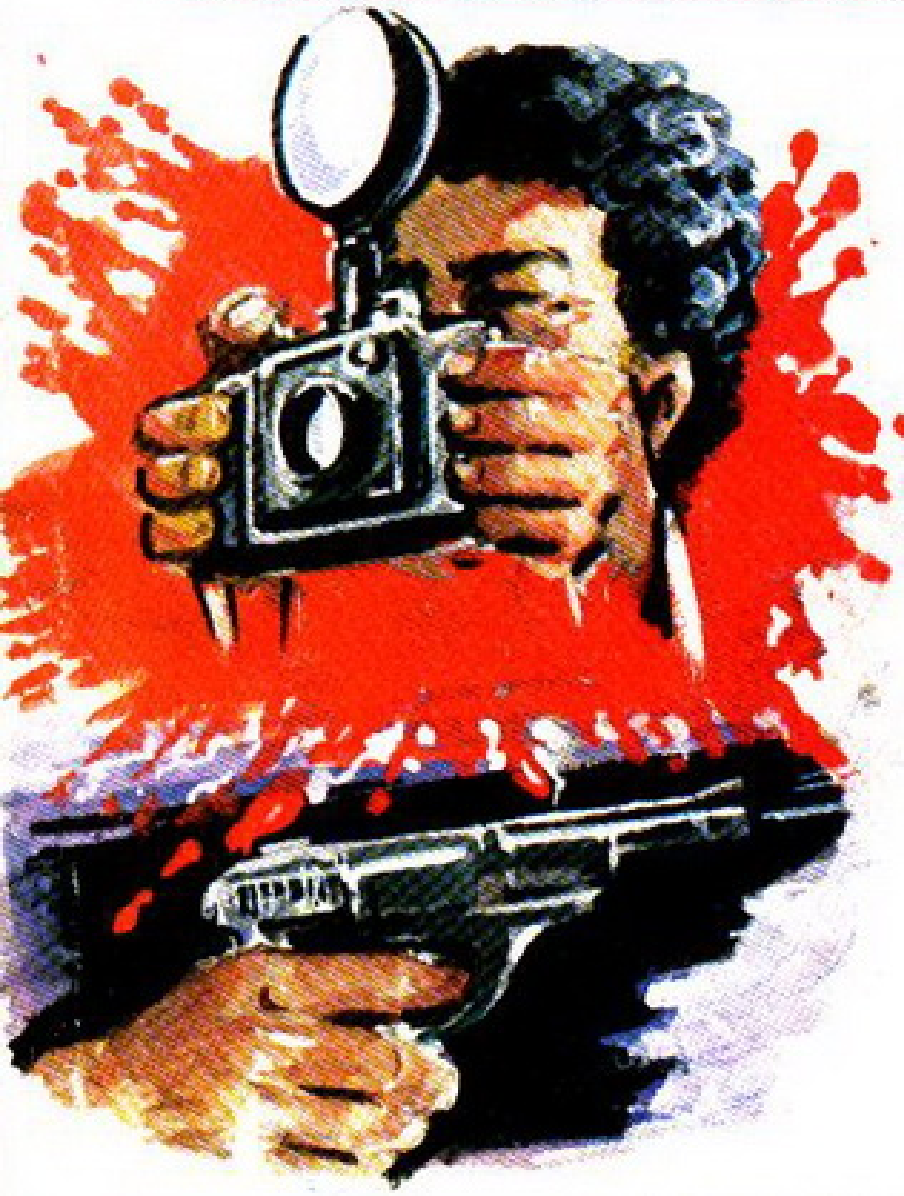

د. نبيل فاروق

قضية حرب المخابرات

- قضية عجيبة هذه المرة ، تجمع بين قتيل أجنبى ، وأسطوانة مجهولة من أسطوانات الكمبيوتر ، ولغز عجيب ، وأحداث عنيفة قاسية ، وحرب شعواء ، تحمل اسم (حرب المخابرات) ..
- ترى .. كيف يحل فريق (ع×٢) لغز هذه القضية الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل ، وحاول أن تسبق (الفريق) إلى حل اللغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٧٥ قرشا
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية العالِم المفقود)